التحكيم

دراسة في الفقه التاريخي للأمة الإسلامية

الدكتور
أحمد راسم النفيس

التحكيم

دراسة في الفقه التاريخي للأمة الإسلامية

الدكتور أحمد راسم النفيس

التحكيم

دراسة في الفقه التاريخي للأمة الإسلامية

مُقَدِّمَة

في العالم الإسلامي هناك سرد للتاريخ وليس هناك فقه للتاريخ بل وهناك محاولات مستميتة تبذلها بعض المدارس الفكرية القديمة والحديثة على حد سواء للتعمية على هذا التاريخ وتقديمه للناس بصورة انتقائية تقتصر على إبراز مناطق الروعة والجمال التي تخدم أصحاب تلك النظريات والأطروحات. آخر هذه المحاولات لطمس الحقيقة هو ما أقدم عليه (أزهرنا المبجل) (رمضان ١٤٢٤ الموافق نوفمبر ٢٠٠٣) من حذف فقرات كاملة من مسلسل عمرو بن العاص المسمى (برجل الأقدار) تلك الفقرات المتعلقة بالتحكيم وما أطلق عليه الفتنة الكبرى أي فتنة وأي كبرى لا أحد يعلم أو يمكن له أن يعطيك تعريفا لهذه الكلمات وكل ما يقدر عليه هؤلاء السادة

هو إطلاق تلك التهويمات عن الفتنة والمصلحة وعدم تفريق الأمة من خلال الحفاظ على الصورة (المضيئة) لمن قاموا بتمزيق الأمة بعد أن مزقوا كل القيم وأولها حرمة كتاب الله العزيز وقدسية التحاكم إليه يوم أن حملوه على أسنة الرماح ثم داسوه بالأقدام.

كان من المفترض أن يقوم المسلسل (بتحسين) صورة الرجل ولكن يبدو أن الحقيقة كانت أقوى من محاولات تحسين الصورة فاضطر القوم إلى استخدام مقص القداسة الوهمية الشهير.

و كان أن قامت الدنيا ولم تقعد وكتب من كتب في صحافتنا قائلا (لا يجوز التعتيم على جزء مهم من تاريخنا الإسلامي ولا يصح تضليل وتجهيل المشاهدين... تجديد الخطاب الديني يحتاج إلى المصارحة والمكاشفة ولا بد من إعادة النظر في موقف الأزهر من تاريخ الصحابة.

إذا فهناك إصرار على ذلك الطمس وتلك التعمية...لماذا يخاف هؤلاء من فتح الملفات؟ الإجابة معلومة لأن فتح الملفات يهدم الكثير من النظريات ويغلق الكثير من الدكاكين والبنايات وخاصة تلك التي اعتمدت المدرسة الرسمية في قراءة التاريخ مدرسة توزيع القداسة بالجملة وكيل

المدائح بلا قيد ولا شرط ولا ضابط ولا رابط وخاصة لأولئك الذين لا يستحقونها وعلى الجانب الآخر هناك مدرسة وقفت موقفا نقديا من قراءة التاريخ ولكنها لم تطور تلك القراءة لاستخلاص النتائج الفكرية والفقهية المترتبة على تلك المواقف والأزمات العصيبة التي عاشتها الأمة الإسلامية والتي تشكل من دون أدنى شك حصيلة تجارب الأمة كنزها الحقيقي ذلك الرصيد الذي كونته من عذابات وتضحيات وشهادات تلك الكوكبة الرسالية المؤمنة من رعيلها الأول ونعني بكل تأكيد أولئك العظماء الذين يجهلهم ويتجاهلهم خطباء المنابر ومحدثي إذاعة القرآن الكريم أو إذا مروا على ذكر واحد منهم مروا مرور الكرام عمار بن ياسر وأبي ذر الغفاري وكميل بن زياد ومالك الأشتر ومحمد بن أبي بكر وحجر بن عدي الكندي أولئك الأبطال الحقيقيون الذي حاولوا الإبقاء على دولة الحق دولة الإمام علي عليه السلام متواصلة ولكن التيار الانحرافي الأموي اجتاحهم واجتاح تلك الدولة فلم يكتب لها البقاء أكثر من خمس سنوات ولكن الحق أبقى وسيبقى فقد نجح أن يقدم الكثير والكثير من الدروس التي نحرص على تقديمها في صورتها الإيجابية لا في صورتها البكائية السلبية.

ليس بنا حرص على المشاركة في مواكب البكاء على الحق الضائع وإن كان البكاء -و ربما ما هو أكثر من البكاء-

حقا لأن احتياجاتنا الفعلية تتخطى البكاء وتحتم على البعض أن ينحوا عواطفهم حتى حين وأن يجمدوا دموعهم في مآقيهم لفترة من الوقت وأن يقوموا بالتصدي لاحتياجات الأمة الإسلامية المتعددة سواء كانت احتياجات نفسية وعاطفية وهي مطلب حيوي أو جهادية من خلال بذل الروح والنفس في ساحات الجهاد المقدس أو لتلبية احتياجاتها الفكرية والسياسية وقطع الطريق على المتفيهقين من أدعياء المعرفة الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون والذين يعتقدون أن الطريق أصبح ممهدا لهم على طريقة التجار الذين باعوا مليون قطعة من بضاعتهم الفاسدة ويتوهمون أن بإمكانهم رفع مبيعاتهم إلى مليوني قطعة وربما عشرة ملايين لأنهم نجحوا في عقد بعض صفقات والحصول على بعض توكيلات من هنا وهناك. اللهم لا ذا ولا ذاك فهناك أحفاد محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم السلام وهناك أولياء علي قادرون على إيقاف ذلك المد الانحرافي التزويري وإفساد تلك الصفقات. (اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته).

دكتور أحمد راسم النفيس
المنصورة- مصر

التحكيم

تلك الواقعة الكارثة التي يعرف عنها أغلب الناس مجرد خيالات وأوهام. انهم مشغولون بالقراءة عن العروش والجيوش ولكنهم لا يعرفون كيف تسلل هؤلاء الوحوش إلي كبد الأمة المنهك والممزق إنها ولاشك كارثة حقيقية أن لا تعرف الأمة تاريخها النابض الذي مازال يضخ في شرايينها دما فاسدا.

هل كانت كارثة التحكيم هي الكارثة الوحيدة في تاريخنا لا أعتقد فقد سبقتها كوارث وأعقبتها كوارث أخري فماذا يضيرنا أن نفتح ملفات هذه الكوارث ونستخلص منها العبر حتى يعرف الناس لماذا يعيشون في زمن أم المعارك وأم المصائب وحاكمونا لو قلنا حرفا واحدا من عندنا.

من أين نبدأ؟ للأسف فنحن مضطرون للاختصار ،فلنبدأ من (صفين).

فمنذ أن جاء الإمام علي عليه السلام إلي الخلافة قامت الحروب ووجد كل من كان في قلبه مرض أن من الواجب عليه

أن يسعى في سفك دماء بضعة آلاف من المسلمين حتى لا يستقر الحكم والخلافة في يد أمير المؤمنين علي (ع) ولا بأس عليه فهذا الفرفور ذنبه مغفور طالما أنه ولد وعاش في القرون الثلاثة الأول وها هم وعاظ السلاطين يحملون بأيديهم ممحاة الذنوب السلطانية تمحو ما تشاء وتثبت تماما مثل بني إسرائيل الذين قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة فكان الجواب عليهم (تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).

وهذا ما حدث بالفعل، قبل صفين كانت واقعة (الجمل) إنها بلا شك واحدة من أمهات الكوارث التي نزلت بساحتنا في الماضي والحاضر. ليس صحيحا ما يتشدق به البعض من الاستشهاد بكتاب الله زورا وبهتانا (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون). سورة البقرة فنحن ومن كانوا في صفين أمة واحدة لقوله تعالي (وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) سورة المؤمنون.

إنها أمة واحدة بالامتداد الأفقي من أقصي الشرق إلي أقصي الغرب حيث يوجد المسلمون الآن في اليابان والولايات المتحدة الأمريكية وأيضا بالامتداد الرأسي من بعثة محمد (ص) إلي قيام الساعة. إنها أمة واحدة وليست بالضرورة أمة متوحدة

فقد سبق في علمه عز وجل أن هناك من سيسعى لتمزيق هذه الأمة شيعا وأحزابا.

من هنا فإننا حين نتحدث عن صفين والجمل والنهروان نتحدث وفي يقيننا أن دماءنا هي التي نزفت ومازالت تنزف وجروحنا وقروحنا لم تندمل حتى يحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

عودة إلي صفين:

صفين المكان موضع بشط الفرات بأرض العراق.

أما صفين الرمز والحقيقة: فهي ذلك الجرح المفتوح من يومها في قلب الأمة بين الإسلام الحقيقي إسلام علي وعمار بن ياسر وابن عباس ومالك الأشتر وأويس القرني في مواجهة الإسلام الأموي المزيف إسلام معاوية والوليد بن عقبة بن أبي معيط وأن إفلات هؤلاء من الهزيمة يومها وليس انتصارهم كان هزيمة للأمة كلها وليس هزيمة لهذه الكوكبة الطاهرة التي ضحت بأرواحها لتوفر علينا ما نحن فيه الآن ولكن يبدو أننا كنا لا نستحق إلا هذا. أما التاريخ فكان يوم الثلاثاء العاشر من

شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين للهجرة...ولازال الملف مفتوحا من يومها ينتظر القول الفصل.

الحدث:

يقول المؤرخون والنقل هنا مأخوذ عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم برواية ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة كانت الحرب قد أكلت الفريقين لكنها في أهل الشام أشد نكاية وأعظم وقعا فقد ملوا الحرب وكرهوا القتال وتضعضعت أركانهم. كانت هذه هي الحالة النفسية لجيش الانحراف الأموي. ومن هنا كانت محاولة الخروج من هذا المأزق عن طريق ممارسة الاحتيال السياسي وتلك أهم معالم المدرسة الأموية في الدين والسياسة ، مدرسة الغاية تبرر الوسيلة أقدم مدارس السياسة في التاريخ.علي الناحية الأخرى كان التزام الإمام علي (ع) الثابت بأن الأهداف السامية لا تتحقق إلا بأساليب تتوافق مع هذه الأهداف ومن هنا حدث الخلل فالمسلمون في جملتهم لم يكونوا علي درجة كافية من الوعي لصد هذه الغارة الشرسة التي جاءت هذه المرة من الداخل.

إحدى هذه المحاولات كانت العرض الذي قدمه مندوب بني أمية للإمام علي (ترجع إلى عراقك فنخلي بينك وبين العراق ونرجع نحن إلى شامنا فتخلي بيننا وبين الشام) فقال علي (ع) ﴿قد عرفت ما عرضت ولقد أهمني هذا الأمر وأسهرني وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل الله على محمد(ص).إن الله تعالى ذكره لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر فوجدت القتال أهون على من معالجة الأغلال في جهنم﴾ وسقطت المحاولة. كان المطروح على الإمام علي (ع) هو القبول بنصيبه من الغنيمة (حكومة العراق) ولتقسم الأمة وليذهب الإسلام إلى الجحيم فكانت الإجابة أن أولياء الله (السياسيين) لن يقبل الله منهم أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون أولياء الله المقاتلون لن يقبل الله منهم الاعتزال في الصوامع ومصالح الإسلام تضرب وحقوق العباد تغتصب على يد طلاب السلطة وعشاق الجاه والمال. كان الإمام علي يقول هذا الكلام ويفعله بينما التزم آخرون جحورهم بدعوى الزهادة وعدم الرغبة في خوض الفتن والواقع أن هؤلاء كانوا يريدون أن تصل السلطة غنيمة باردة في يد خط الانحراف الأموي (ليس حبا في معاوية بل بغضا في

علي) من دون أن يلحق بهم رذاذ هذه العملية القذرة. كان جواب الإمام علي هو الرفض.

واستؤنف القتال وكان للأشتر أحد أبرز أولياء الله المقاتلين دورا بارزا في هذه الجولة حيث كان رضوان الله عليه في ميمنة الإمام وابن عباس في الميسرة والإمام علي في القلب وانتهت تلك الليلة كما يروي صاحب كتاب صفين عن سبعين ألف قتيل ومع ذلك يبقى ابن أبي سفيان مجتهد مخطئ له أجر واحد والإمام علي مجتهد مصيب له أجران؛ هذا هو مفهوم الاجتهاد من وجهة نظر البعض فماذا يبقى من الدين إذن؟؟.

ما زالت الرواية لنصر بن مزاحم: في هذا اليوم المسمى بيوم الهرير كادت الهزيمة تحل بالمعسكر الأموى وأوشكت ميمنة جيش الإمام بقيادة مالك الأشتر أن تقتحم مقر قيادته وأقبل الليل، فوقف الإمام خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس قد بلغ بكم الأمر وبعدوكم ما قد رأيتم ولم يبق منهم إلا آخر نفس وإن الأمور إذا أقبلت أعتبر آخر بأولها وقد صبر لكم القوم على غير دين حتى بلغنا منهم ما بلغنا وأنا غاد عليهم بالغداة أحاكمهم إلى الله.

فبلغ ذلك معاوية فدعا وزيره الأول وكبير مستشاريه عمرو بن العاص وقال يا عمرو إنما هي الليلة حتى يغدو علي علينا بالفصل فما ترى.

قال عمرو إن رجالك لا يقومون لرجاله ولست مثله هو يقاتلك على أمر وأنت تقاتلهم على غيره أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم وأهل الشام لا يخافون عليا إن ظفر بهم. ولكن ألق إلي القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا وإن ردوه اختلفوا أدعهم إلي كتاب الله حكما فيما بينك وبينهم فإنك بالغ به حاجتك في القوم، وإني لم أزل أؤخر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه. فعرف معاوية ذلك وقال له صدقت.

هكذا نبتت خدعة التحكيم إنها نبت الشيطان (ألق إلى القوم أمرا إن قبلوه اختلفوا وإن ردوه اختلفوا).

قمة الاستهزاء بالمبدأ الأقدس في حياة كل مسلم التحاكم إلى الشريعة الإلهية والهدف المعلن هو تمزيق المعسكر المقابل ومن ثم تمزيق الأمة كلها وزرع الفتنة في صفوف المسلمين إلى قيام الساعة وكان له ما أراد.

إنها مجرد ورقة أخيرة في لعبة الصراع على السلطة إنها لم تكن يوما ما قضية مبدأية ولا أخلاقية بل هي مجرد أداة من

أدوات الصراع والهدف هو الوصول إلى السلطة وإزاحة أصحابها الشرعيين من مواقعهم إنه شعار الغاية تبرر الوسيلة ولكن هذه المرة مضافا إليه بعض البهارات والتوابل الإسلامية.

ربما كان هذا الهدف خافيا على بعض البسطاء الموجودين آنئذ ولكن ما هو السر في استمرار عملية التمويه إلى يومنا هذا ومحاولة إسباغ القداسة على هؤلاء الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار.

على أي شيء سيكون التحكيم؟؟.

إن البحث في قضية التحكيم يطرح عدة تساؤلات عن طبيعة الوضع القائم آنئذ من الناحية الشرعية والواقعية ومن ثم عن طبيعة القضايا التي ستبحثها هيئة التحكيم:

١- هل ستبحث هيئة التحكيم في الأسباب المباشرة لهذا النزاع وهى من وجهة النظر الأموية القصاص من قتلة الخليفة المظلوم عثمان بن عفان أم أن الأمر أبعد من هذا؟؟.

٢- هل ستحاول هيئة التحكيم الاستفادة من هذه الفرصة السانحة بتوسيع صلاحياتها ومن ثم إعادة طرح مسألة الخلافة برمتها؟؟.

كان الهدف الأول هو الهدف المعلن وهو الذي جرى حشد الرأي العام المضلل على أساسه أى أن المسألة وبلغة العصر هي سياسة الخطوة خطوة وبهذا يكون بنو أمية قد سبقوا العالم في اختراع مبدأين من مبادئ السياسات اللاأخلاقية مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ومبدأ الخطوة خطوة.

الملاحظة الأخرى أن بيعة الإمام علي جاءت عبر الاختيار الجماهيري الحر المباشر وهي أداة قانونية وشرعية أعلى وأقوى من هيئة التحكيم التي طلب هؤلاء استدعاءها للفصل في القضية؛ فكيف سمح حكماء الأمة وقادتها أن توضع إرادة الأمة في ناحية وفي الناحية الأخرى هيئة تحكيم مكونة من شخصين جاءت ثمرة لواحدة من أقذر عمليات الابتزاز السياسي التي عرفها التاريخ ألا وهى المطالبة بالقصاص من قتلة عثمان بن عفان. والعجيب أن المفاوض الأموي لم يطرح هذه المسألة أثناء المفاوضات بل توجه مباشرة إلى الهدف المرسوم وهو قضية الخلافة بيت القصيد منذ البدء.

إن قبول معسكر الشرعية بمبدأ التحكيم كان من اللازم له أن يتزامن مع إظهار الطرف الآخر لدلائل حسن النية وإلا كان الحديث عن التحكيم مجرد غش واحتيال وهذا ما لم يكن

متوفرا بعد هذا السيل المسفوك من الدماء وبعد تلك الظروف والملابسات التي أحاطت بميلاد الفتنة ومهدت لها.

إذن فقد كان هناك الكثير من الثغرات ونقاط الضعف التي راهن عليها المخطط الأموي الإستراتيجي عمرو بن العاص الذي تصرف من موقع العداء لإرادة الأمة والرغبة الملحة لتدمير قوى الخير في داخلها وهو سلوك الشيطان الخبيث الذي لا يختلف في شيء عن سلوكيات أعداء الأمة المعاصرين بدءا من نتانياهو ووصولا إلى المخابرات المركزية الأمريكية التي يتباكى الحركيون المسلمون المعاصرون على تدخلاتها التآمرية لإفساد وحدة الأمة الإسلامية وبث الفرقة فيما بينها بينما هم يقدسون هؤلاء ويعتبرون من يوجه النقد إليهم خارجا من الملة وصحيح الدين فأي ازدواجية أخلاقية هذه؟ وكيف يمكن لنا أو للأمة المخدوعة قديما وحديثا أن تأمنكم على مصيرها وما هو الفارق بين من سعى من داخل الصف المسلم لتمزيق هذه الوحدة وبين من يتآمر على وحدتها من الخارج؟؟ لا شك أن التآمر الداخلي أشد وقعا وأكثر خطرا على هذه الأمة التي لم تكن تملك وعيا سياسيا متكاملا السياسي يعصمها من الوقوع في حبائل الشيطان الأموي ولا الشيطان الأمريكي ولا من كانوا على شاكلة (سيدنا عمرو بن العاص) كما يكرر بلهاء هذه الأمة الأقدمين والمعاصرين أعني قادتها الفكريين والسياسيين

الجاثمين على صدورنا يمنعوننا من التفكير أو التنفس إلا عبر خياشيمهم التي اعتادت الثناء على أبشع الروائح وأفظع القبائح بما فيها سيئة هذه الأمة الكبرى عمرو بن العاص. من الناحية الأخرى فإن التزام الإمام علي بنهجه الأخلاقي منعه من استخدام أساليب مشابهة وإن كلفه ذلك ثمنا سياسيا باهظا.

نظرة على الظروف التي مهدت للتحكيم:

ما زالت الرواية لنصر بن مزاحم (فلما أصبح الصباح من ليلة الهرير نظر الناس فإذا أشباه الرايات أمام أهل الشام في وسط الفيلق حيال موقف علي ومعاوية فلما أسفرنا إذا هي المصاحف قد ربطت قي أطراف الرماح وهى عظام(من العظمة) مصاحف العسكر وقد شدوا ثلاثة أرماح جميعا وربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط واستقبلوا عليا بمائة مصحف ووضعوا في كل مجنبة مائتي مصحف فكان جميعها خمسمائة مصحف ثم نادوا يا معشر العرب الله الله في النساء والبنات والأبناء من الروم والأتراك

وأهل فارس غدا إذا فنيتم الله الله في دينكم هذا كتاب الله بيننا وبينكم...

فقال علي عليه السلام: اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين. فاختلف أصحاب علي (ع) في الرأي فطائفة قالت المحاكمة إلى الكتاب ولا يحل لنا الحرب وقد دعينا إلى حكم الكتاب فعند ذلك بطلت الحرب ووضعت أوزارها.

أقبل أصحاب الإمام لإبداء الرأي والمشورة فقال عدى بن حاتم الطائي يا أمير المؤمنين إنه لم يصب منا عصبة إلا وقد أصيب منهم مثلها وكل مقروح ولكنا أمثل بقية وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلا ما نحب فناجزهم وقام الأشتر فقال يا أمير المؤمنين إن معاوية لا خلف له من رجاله ولكن بحمد الله لك الخلف ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا نصرك فأقرع الحديد بالحديد واستعن بالله الحميد. ثم قام عمرو بن الحمق الخزاعي فقال يا أمير المؤمنين إنا والله ما أجبناك ولا نصرناك إلا على الباطل ولا أجبنا إلا الله ولا طلبنا إلا الحق.

كان هؤلاء هم خواص أصحاب الإمام عليه السلام الذين جرى تصفيتهم جسديا بعد ذلك على يد آلة القمع

الأموي ولعمرو بن الحمق رضوان الله عليه قصة يندى لها جبين الإنسانية لم يكن كل جيش الإمام من نفس الصنف من الرجال؛... كان من بينهم الأشعث بن قيس وهو ممن ارتدوا بعد وفاة رسول الله (ص) ثم أعلن توبته فقام مغضبا وقال يا أمير المؤمنين إنا لك اليوم على ما كنا عليه الأمس وليس آخر أمرنا كأوله وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام مني فأجب القوم إلى كتاب الله عز وجل فإنك أحق به منهم وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال فقال على (ع) إني أحق من أجاب إلى كتاب الله لكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي سرح وابن أبي معيط وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن إني أعرف بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شر صغار وشر رجال ويحكم إنها كلمة حق يراد بها باطل إنهم ما رفعوها لأنهم يعرفونها ويريدون العمل بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

فجاءه من أصحابه زهاء عشرين ألف شاكي سيوفهم على عواتقهم وقد اسودت جباههم من السجود يتقدمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين وعصابة من القراء ممن صاروا خوارج فيما بعد فنادوه باسمه لا بإمرة المؤمنين يا علي أجب

القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه وإلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان فوالله لنفعلنها إن لم تجبهم.

نجحت إذن مكيدة عمرو بن العاص في إظهار حالة الالتباس والاشتباه التي خالطت نفوس معسكر الإمام علي (ع) وإن أردت الدقة حالة الفتنة التي سادت الأمة الإسلامية كلها ومهدت لها مراحل سابقة خفضت منزلة الإمام علي (ع) وبقية أهل البيت عن المنزلة الواجبة لهم ورفعت شأن آخرين إلى مقام ليس لهم.

هذه الحالة المرتبكة أحدثت خلطا في وعي الأمة فتزحزحت كثير من المسلمات من مواقعها وخاصة ذلك الجزء المتعلق بوعي الأمة السياسي ومعرفتها بمقام الإمامة ومقام علي عليه السلام رباني هذه الأمة وباب مدينة علم رسول الله ومن ثم قدرتها على مواجهة صراع سياسي من نوع جديد لم تعد فيه ترفع فيه رايات اللآت والعزى ومناة الثالثة الأخرى فحاملوا هذه الألوية قاموا بتغيير العناوين تمهيدا لإعادة الانقضاض إنها قمة المرونة السياسية!!.

هذا الخلط والارتباك أتاح لمعاوية بن أبي سفيان أحد الطلقاء الفرصة لأن تتجاوز مدة إمارته للشام لأكثر من عشرين عام تحول خلالها من أمير بسيط إلى صاحب دولة وأتباع

صانعهم وألف قلوبهم بالرشاوى التي منحها لهم من بيت مال المسلمين بينما يموت رجل من خاصة أصحاب محمد (ص) هو أبو ذر الغفاري منفيا في صحراء الربذة دون أن يجد كفنا يواري به جثمانه الطاهر كل هذا حدث أثناء فترة ما يسمونه الخلافة الراشدة ناهيك عن أن السبب الأساس الذي دفع هؤلاء لإعلان التمرد على إمام الحق لم يكن بحال من الأحوال هو الثأر من قتلة عثمان بل كان رفضهم لسياسات الإمام علي عليه السلام في إقامة العدل الاجتماعي وهو ما بيناه في كتابينا (على خطى الحسين) و(الإمام علي والعدالة الاجتماعية).

لم يكن الإمام علي (ع) راغبا في سفك دماء المسلمين ولا كان داعية حرب متصلب كما حاول بعض المتفيهقين تصوير المسألة. كان الإمام رجل دولة ولكنها دولة الحق دولة رسول الله (ص) وليست دولة الرئيس ولا دولة الملك أو دولة بني أمية التي يدور الناس كلهم في فلكها ليصبحوا مجرد أدوات تابعة لها. كان هذا واضحا في تعامله مع أتباعه فهو لم يحاول أن يحملهم على مالا يريدون سواء أرادوا الحياة أم أرادوا الموت أرادوا العز أم أرادوا الذل..... كان هذا الأسلوب واضحا في إدارته لشئون الأمة سلما وحربا تلك الأمة التي لم تكن قد ارتقت بعد إلى هذا المستوى من الوعي السياسي والديني وكلاهما يشكلان منظومة فكرية واحدة كانت تحتاج

إلى مزيد من الوقت والإعداد والتجهيز وربما لأجيال أخرى لم يكن قد جاء أوانها بعد ويعلم الله وحده متى يأتي ذلك الحين ولذا كان من السهل على هؤلاء ممارسة لعبة الغش والخداع وتزييف وعي الأمة والالتفاف حول القيادة الشرعية الرسالية للأمة الإسلامية وهو أسلوب قديم حديث يمكن استخدامه لتقويض أي تجربة مشابهة لتجربة الإمام علي عليه السلام فكان لهم ما أرادوا ونال كل طرف ما يستحقه. ترى لو لم تحدث خدعة التحكيم؟؟؟؟ إنه مجرد سؤال افتراضي.

لو لم تحدث خدعة التحكيم لما استطاع المسلمون الحياة الآن... كيف يعيش المسلمون من إسرائيل تحتلهم وأمريكا تذلهم!!!!! كيف يستطيع المسلمون الحياة من دون خطباء المنابر الندابين الذين لا يحسنون شيئا إلا البكاء على الواقع البائس لذراري المسلمين ويصرخون واسلاماه واسلاماه ثم ينهون خطبتهم بالترضي على الصحابي الجليل فاتح مصر عمرو بن العاص.

كيف يعيش المسلمون من دون خوارج أول الزمان وآخر الزمان فهذه مشكلة لا شأن لهم بها بل هي مشكلة أمنية يقع عبء حلها إما على الجهاز الأمني المحلي أو على مجلس

الأمن الدولي الذي سنذهب إليه لنطالبه بعدم الاعتراف (بنجدة وذو الخويصرة ونافع بن الأزرق أو بملا محمد عمر) وكفى الله المسلمين المستنيرين شر القتال فهم لن يتدخلوا إلا إذا هدمت تماثيل بوذا أما إذا أزهقت أرواح أكثر من عشرة آلاف مسلم في مزار شريف في يوم واحد فسيعتبرونها محض أقاويل ومجرد شائعات وخاصة إذا كان القتلى من الشيعة.

كان رد الإمام على هذا العرض المسموم يتضمن استعراضا لأسماء قادة المعسكر الأموي وتاريخهم الشخصي والسياسي وهو ما تمارسه أي أمة حية باستثناء الأمة الإسلامية التي تعتبر الخوض في تاريخ القيادات السياسية الشخصي والاجتماعي غيبة ونميمة ينبغي أن يتنزه العامة عن الخوض فيه خاصة إذا كان هؤلاء القادة والرموز من القرون الثلاثة الأولى أو ممن حصلوا على رتبة الصحبة ولو للحظة واحدة في عمرهم مهما فعلوا من الشرور والآثام ، ها هى الولايات المتحدة زعيمة العالم المعاصر تشرح سلوك رئيسها الشخصي في أدق تفاصيله لأن حياة القادة في أي أمة حية ليست ملكا لهم بينما يقال لنا تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم و(ما لكوش دعوة)فكل هؤلاء عدول تقبل رواياتهم مهما قالوا أو فعلوا ولا شأن لكم بتاريخكم.

كيف صدق المسلمون يومها أن معاوية وعمرا الذي حارب رسول الله عشرين عاما حتى إذا أدركه الغرق قال أشهد أن لا إله إلا الله وكان أكثر ذكاء من سيده معاوية الذي أرجأ هذا الأمر حتى أسر وأطلق سراحه فكان واحدا من الطلقاء يمكن له أن يصدق في إدعائه طلب التحاكم إلى كتاب الله ولماذا لم يحس (رضوان الله عليه!!) بحرارة دماء المسلمين المسكوبة في أرض صفين إلا في تلك اللحظة التي كانت الهزيمة فيها قاب قوسين أو أدنى من اللحاق به وبسيده؟؟؟ كيف صدق المسلمون أن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي شرب الخمر يوم أن كان واليا على الكوفة من قبل عثمان بن عفان وكان يصلي بهم الفجر وهو سكران أربعة ركعات لدرجة أن هذا العبث صارا فقها ودينا يتعبد به المخدوعون من هذه الأمة (أنظر فقه السنة للشيخ سيد سابق تحت عنوان جواز الصلاة خلف الفاسق مع الكراهة) ثم أقيم عليه الحد يمكن أن يكون صادقا هو الآخر في طلبه الاحتكام إلى ما أنزل الله؟؟.

أليس هؤلاء ومن على شاكلتهم هم الذين نزل فيهم قوله تعالى ﴿يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم

تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٤١) سماعون للكذب أكالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين (٤٢)﴾ سورة المائدة.

كان الإمام علي يسعى لرفع مستوى الأمة السياسي وعيا وأداء بينما كانت تلك القوى المضادة تسعى بلا كلل لتدمير الأمة وتفتيتها شيعا وأحزابا كل حزب بما لديهم فرحون حتى تتمكن هي من بسط نفوذها وهيمنتها بسهولة ويسر على مجموع الأمة المتشرذمة ويبقى ذلك الأسلوب وتلك السياسة نهجا ثابتا للسلطويين في الماضي والحاضر.

اللحظات الحاسمة:

نعود إلى الرواية لنعرف في أي لحظة استطاع الباطل أن يقطف الثمرة ويحول بين الحق وأصحابه في هذه اللحظات كانت كتيبة الأشتر توشك على اقتحام مقر القيادة الأموي وبدأ هؤلاء التائهون (من معسكر الإمام علي) يلحون في إيقاف

القتال فأرسل الإمام علي إلى الأشتر يزيد بن هانئ أن ائتني فأتاه فأبلغه فقال الأشتر قل له ليست هذه بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني عن موقفي إني قد رجوت الفتح فلا تعجلني فرجع يزيد بن هانئ إلى علي (ع) فأخبره فما هو إلا أن ارتفع الرهج وعلت الأصوات من قبل الأشتر وظهرت دلائل الفتح والنصر لأهل العراق ودلائل الخذلان والإدبار لأهل الشام فقال القوم لعلي (ع) والله ما نراك أمرته إلا بالقتال فقال أرأيتموني شاورت رسولي إليه أليس إنما كلمته على رؤوسكم علانية وأنتم تسمعون قالوا فأبعث إليه فليأتك إلا فوالله اعتزلناك فقال ويحك يا يزيد قل له أقبل إلى فإن الفتنة قد وقعت فأتاه فأخبره فقال الأشتر أبرفع هذه المصاحف قال والله لقد علمت أنها حين رفعت ستوقع خلافا وفرقة إنها مشورة ابن النابغة ثم قال ليزيد بن هانئ ويحك ألا ترى إلى الفتح ألا ترى إلى ما يلقون ألا ترى إلى الذي يصنع الله لنا أينبغي أن ندع هذا وننصرف عنه فقال له يزيد أتحب أنك ظفرت ههنا وأن أمير المؤمنين بمكانه الذي هو فيه يفرج عنه ويسلم إلى عدوه قال سبحان الله لا والله لا أحب ذلك قال فإنهم قد قالوا له وحلفوا عليه لترسلن إلى الأشتر فليأتينك أو لنقتلنك بأسيافنا كما قتلنا عثمان أو لنسلمنك إلى عدوك فأقبل الأشتر حتى انتهى إليهم فصاح يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم

قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وقد والله تركوا ما أمر الله به فيها وتركوا سنة من أنزلت عليه فلا تجيبوهم أمهلوني فواقا فإني قد أحسست بالفتح قالوا لا نمهلك قال فأمهلوني عدوة الفرس فإني قد طمعت في النصر قالوا إذن ندخل معك في خطيئتك قال فحدثوني عنكم وقد قتل أماثلكم وبقى أراذلكم متى كنتم محقين أحين كنتم تقتلون أهل الشام؟؟؟ فأنتم الآن حين أمسكتم عن قتالهم مبطلون أم أنتم الآن في إمساككم عن القتال محقون فقتلاكم إذن الذين لا تنكرون فضلهم وأنهم خير منكم في النار قالوا دعنا منك يا أشتر قاتلناهم في الله وندع قتالهم في الله إنا لسنا نطيعك فاجتنبنا فقال خدعتم والله فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقا إلى لقاء الله فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت ألا فقبحا يا أشباه النيب الجلالة ما أنتم براثين بعدها عزا أبدا فأبعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا وجه دابته بسياطهم وضرب بسوطه وجوه دوابهم وصاح بهم علي عليه السلام فكفوا.

رحمة الله عليك يا مالك الأشتر شهيد السم الأموي المقتول والمدفون بمصر قتلته يد الغدر الأموي وهو فعلا كان يستحق شرف الشهادة مالك وهؤلاء الغوغاء أشباه النيب

الجلالة (الحيوانات التي تأكل الأوساخ والرمم) الذين صاروا بعد ذلك من الخوارج إنهم قوم خصمون مفتونون بقدراتهم البدنية العبادية الخالية من كل روح ومضمون إنهم الآن بلاء يعصف بمعسكر

الحق ولكنهم عما قليل سيتحولون إلى بلاء يضرب كل المجتمعات المسماة بالمجتمعات الإسلامية جزاء وفاقا مثلما فعلوا في الدولة الأموية الأولى وسائر الدول الأموية إلى قيام الساعة.

لماذا قبل الإمام التحكيم؟؟

بعد كل هذا يتساءل بعض الخبثاء وأحيانا بعض البلهاء عن سبب قبول الإمام للتحكيم إنه لم يكن قبولا للتحكيم بقدر ما كان قبولا لقيادة أمة كان يمكن لها أن تبقى خير أمة أخرجت للناس ولكن يبقى أن أي تزكية إلهية إنما هي تزكية مشروطة وليست تزكية بلا قيد ولا شرط من هنا كان تحمله عليه السلام لكل هذه الآلام والأوجاع فهؤلاء الحمقى لم يقبلوا نصيحته وهو العالم العارف المجرب الذي ورث من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرصه وشفقته على الأمة والدين ولكن هيهات هيهات لو كان يطاع لقصير أمر.

إن قبول الإمام (ع) للتحكيم ينفي بشكل قاطع ما يردده خصوم الإسلام من أنه يسعى لإقامة دولة ثيوقراطية أو ديكتاتورية دينية وهذا يستدعي بيانا حدود الاضطرار الذي واجهه الإمام علي عليه السلام وهل كان عاجزا بصورة كلية عن استعادة زمام المبادرة والوصول إلى أهدافه عبر الوسائل التي يراها هو أو أي قيادة إسلامية من بعده بمعنى هل كان الإمام رهينة في يد من خالفه في الرأي وكان خائفا على حياته ويريد أن يبقى على قيد الحياة لبضعة أعوام إضافية وهو الذي واجه الشهادة عشرات المرات بعدد من جندلهم من رموز الشرك والنفاق والجواب هو النفي بكل تأكيد فلم يكن الإكراه بهذه الدرجة ولا كان هو عاجزا لا عن المواجهة ولا عن الالتفاف على هذه الأزمة ولا غيرها من الأزمات ولكن للأمور غايات ومسارات يعرفها العالم الخبير البصير ومن هنا كان لزاما للإمام عليه السلام أن يترك الأمور لتصل إلى تلك الغايات وإلى نهاية المسارات.

إذن فلم يكن الإمام علي (ع) عاجزا عن إدارة الصراع واستعادة زمام المبادرة من خلال إتباع بعض الأساليب السلطوية المعروفة قديما وحديثا فقد كان بإمكانه أن يهدئ من روع هؤلاء المعارضين ويعدهم ويمنيهم خيرا بدراسة مطالبهم ثم يبعث في ظلمة الليل من يجز رؤوس الفتنة ويبعث بالبعض

الآخر إلى السجون ريثما تستقر الأمور تطبيقا لقاعدة الحكومات الرشيدة (اضرب المربوط يستحي السايب) ثم يستميل من تبقى ببعض الجوائز والعطايا والمناصب وكانت الدنيا كلها بين يديه.

كان بإمكانه أن يؤجل إطاحة معاوية من إمارة الشام كما نصحه بعض المقربين من قبل ثم يسحب منه سلطانه خطوة خطوة ثم يرسل إليه قرار الإقالة وقرارا آخر بتعيينه مستشارا رئاسيا أو ملكيا لإرضاء أتباعه أو أن يرسل إليه تلك الهدية المسمومة التي طالما استخدمها بعد هذا ابن آكلة الأكباد للتخلص من رموز الأمة مثل مالك الأشتر.

الإمام يؤسس ويرسي معالم الحكومة الإسلامية

لقد كان الإمام علي عليه السلام يؤسس ويرسي معالم الحكومة الإسلامية القائمة على العدل والطهر والحق الذي لا يقبل المساومة ولا أساليب الالتفاف الشيطانية فما هي قيمة تلك الدولة القائمة على أساليب تخالف المبادئ التي تدعو إليها.

كان الإمام يرسي معالم دولة تقوم على أساس قبول الناس لها بإرادتهم الحرة لا بسيف السلطة المرفوع فوق رؤوسهم ولذا قال عليه السلام (لولا التقى لكنت أدهى العرب) ولولا التقى لما استعصى عليه مثل هذه المواقف ولا أكبر منها ولكنها إرادة الله فكيف كنا سنعيش بدون هذه المصائب والويلات كيف كنا سنعيش بدون الطالبان وبدون أمير المؤمنين ملا عمر ناهيك عن أمير المؤمنين الجزائري وغيرها من المخازي التي امتلأ بها تاريخنا القديم والمعاصر.

نعود إلى الأشتر أحد أبرز أولياء الله المقاتلين وقد يئس من إقناع هؤلاء الحمقى والمغفلين فقال يا أمير المؤمنين احمل

الصف على الصف تصرع القوم فتصايحوا إن أمير المؤمنين قد قبل الحكومة ورضي بحكم القرآن فقال الأشتر إن كان أمير المؤمنين قد قبل ورضي فقد رضيت بما رضي به أمير المؤمنين والإمام ساكت لا ينطق بكلمة مطرق إلي الأرض ثم قام فسكت الناس كلهم فقال أيها الناس إن أمري لم يزل معكم على ما أحب إلى أن أخذت منكم الحرب وقد والله أخذت منكم وتركت وأخذت من عدوكم فلم تترك وإنها فيهم أنكى وأنهك إلا إني كنت أمس أمير المؤمنين فأصبحت اليوم مأمورا وكنت ناهيا فأصبحت منهيا وقد أحببتم البقاء وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون.

ليس لي أن أحملكم على ما تكرهون هذه واحدة من أهم معالم الحكومة الإسلامية ؛ الاختيار الطوعي القائم على الإرادة الحرة إنها ليست ديكتاتورية الحق كما يقول أصدقاء الإسلام الجهلة من أحفاد الخوارج.

إذا كان هذا الأمر أو غيره حقا فما هي الحاجة إلى فرضه بالقوة أو بأساليب ديكتاتورية ولماذا لا يتم تنفيذه من خلال إقناع الناس به فإذا قبل الناس المبدأ بإرادتهم الحرة لزمتهم كل تبعات هذا التعاقد ومن هنا يظهر حجم المسئولية الملقاة على عاتق العلماء باعتبارهم المسؤلين عن بقاء الناس في

حالة جهل وعجز عن إدراك مصلحتهم الحقيقية إنه التشابك والتلازم بين وعي الجماهير وإرادتها الحرة. إننا لا نقول هذا الكلام إرضاءا لمن يطلقون على أنفسهم أو يطلق عليهم العلمانيون فمما لا شك فيه أن من بين أسباب إعراض البعض عن الخيار الإسلامي هي تلك الطريقة الفجة التي يعرض بها الإسلام عي يد أصدقائه الجاهلين.

من التحكيم إلى الحاكمية:

الذي لاشك فيه أن الحديث عن قضية التحكيم هو أبعد بكثير من مجرد السرد التاريخي وهذا يظهر من العنوان الذي يثير في الذهن كل المعاني المتعلقة بمسألة الحكم بما أنزل الله وهذا ما تضمنه بالفعل هذا السرد المقرون بالتحليل.

إننا الآن نتحرك باتجاه مسألة الحاكمية الإلهية تلك المنطقة الخطرة التي دخل اليها الكثير من العابثين أو الجاهلين أو المفتونين من بوابة الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا على خطى خوارج أول الزمان حتى أصبحت الدعوة الي الحكم بما أنزل الله صناعة من لا صناعة له.

إن هذه الواقعة تظهر لنا كيف صارت الدعوة إلى تحكيم القرآن غشا وخداعا وتضليلا للبسطاء فها هو عمرو بن العاص يقدم لدعوته إلى التحكيم بقوله (أمر إذا قبلوه اختلفوا وإن ردوه اختلفوا).

لقد تغافل كل هؤلاء عن قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم) سورة النساء آية٥٩ يوم أن كان عليهم أن يذكروها ويعملوا بها ثم عادوا يذكرونها بعد ما نحي أولوا الأمر الموصوفين في هذه الآية عن مواقعهم ووسد الأمر إلى غير أهله.

فالمحتوم عقلا أن تكون هذه الفئة موجودة يومها، فسابقة الإمام علي في الإسلام لا ينكرها إلا جاحد والروايات التاريخية خير شاهد على ذلك ويومها لم يكن الأمر في إطار الروايات بل كان واقعا يعرفه رجالات المرحلة المتواجدون على جانبي المعركة سواء ممن شهد بالحق أو من شهود الزور الذين سجلت شهاداتهم المزيفة أو المبتورة على أنها هي الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لم يكن هناك شك في فضله وكونه صاحب السبق يوم بدر وأحد وحنين ويوم خيبر ويوم الأحزاب وغيرها بينما كان ابن آكلة الأكباد على الناحية الأخرى حتى هزم الجمع وولوا الدبر (علي) هذا الذي قال له

رسول الله (ص) (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي) لم يأت إلى الحكم عبر انقلاب عسكري ولا عبر مؤامرة وإنما جاء ببيعة حرة مباشرة لم يستجب لها بصورة متعجلة وإنما تريث طويلا قبل هذه الاستجابة لعلمه مسبقا أن الأهواء قد بدأت تتلاعب بمصير الأمة وأن هناك من يريد جرها إلي المصير الأسود الذي آلت إليه الأمور في نهاية المطاف. نضيف إلى هذا وجود كثير من المسلمين ممن يعتقدون أن الإمام علي هو أكثر من كونه خليفة واجب الطاعة بل هو وصي رسول الله (ص) فهذا زجر بن قيس الجعفي يقول يوم الجمل:

أضربكم حتى تقروا لعلي ... خير قريش كلها بعد النبي
من زانه الله وسماه الوصي ... إن الولي حافظ ظهر الولي
كما الغوي تابع الغوي

وهو أيضا يقول يوم صفين.

فصلي الإله على أحمد ... رسول المليك تمام النعم
رسول المليك ومن بعده ... خليفتنا القائم المدعم
علي عنيت وصي النبي ... يجالد عنه غواة الأمم

كما قال المغيرة بن الحرث بن عبد المطلب.

يا عصبة الموت صبرا لايهولكم

جيش ابن حرب فان الحق قد ظهرا

وأيقنوا أن من يخالفكم أضحى

شقيا وأمسى نفسه خسرا

فيكم وصي رسول الله قائدكم

وصهره وكتاب الله قد نشرا

أما عبد الله بن عباس فينشد قائلا.

وصي رسول الله من دون أهله

و فارسه إن قيل هل من منازل

فدونكه إن كنت تبغي مهاجرا

أسم كنصل السيف غير حلاحل

شرح نهج البلاغة ج١ ص٤٩.

فعلى أي شيء إذن سيكون التحكيم مع ملاحظة الإجماع من قبل المسلمين كل المسلمين قديما وحديثا على شرعية خلافة الإمام علي؟؟

موضوع التحكيم:

هل ستطرح مشروعية الخلافة مرة أخرى بعد أن حسمتها الشورى وهل هناك أمة عاقلة تقبل أن تنزل على إرادة فئة باغية لا حجة ولاشرعية لها إلا شرعية البلطجة والعربدة والإفساد في الأرض فتجلس القيادة الشرعية مع ممثلي زعماء العصابات لبحث مصير الأمة كلما نجح هؤلاء الأوغاد في إشعال نار للحرب هنا أو هناك.الوجه الآخر للمسالة هو ذلك الإدعاء الكاذب الصادر من الحزب الأموي بأن إشعالهم لهذا الحريق الهائل الذي أكل الأخضر واليابس كان طلبا للقصاص من قتلة الخليفة عثمان. إن هذا الإدعاء كان مجرد غطاء للتمويه على العامة والبسطاء فقبلها رفع نفس الشعار من قادة معسكر الجمل وانتهى بهم الأمر إلى هزيمة نكراء سفك فيها دماء عشرات الألوف من المسلمين حتى صارت تسمية قميص عثمان علما وعنوانا على أصحاب الدعوات الكاذبة الذين يعلنون شيئا ويضمرون شيئا آخر.

لو كان ابن آكلة الأكباد راغبا حقا في الوصول إلى الحق والعدل فلماذا يبيح لنفسه ما أنكره على الذين قاموا بالثورة ضد عثمان بن عفان حتى قتلوه.

ولو كان أولياء الخليفة المقتول أولى من غيرهم بالخلافة والقيادة لكان أبناء عمر بن الخطاب هم أولى الناس بقيادة الأمة بعد مقتل أبيهم!!!! ولماذا الخليفة المقتول؟؟ لماذا لا يكون أبناء رسول الله (ص) وأهل بيته هم أولى الناس بقيادة الأمة باعتبار أن رسول الله (ص) قد ضحى بما هو أغلى من الروح في سبيل الله.

الجوانب الإيجابية للتحكيم:

و هل كان للتحكيم جوانب إيجابية؟؟ الإجابة نعم كانت له جوانب إيجابية بالرغم من قبول الإمام علي للتحكيم علي مضض باعتبار أن التحكيم لم يكن هو الأداة الملائمة للفصل في قضية الخلافة والإمامة تلك القضية الكلية القائمة على إرادة الأمة التي لا يمكن أن تعلوها وتصادرها إرادة تلك الهيئة المكونة من شخصين وإلا لصار انتخاب الرؤساء من مهام المحاكم والقضاء ولكن كان من الممكن ألا يؤدي التحكيم الى

هذه النتيجة الكارثية لو أحسن اختيار شخص الممثل السياسي لدولة الإمام تلك الشخصية التي كان ينبغي أن يتوفر لها بعض المقومات الأساسية مثل الحزم والصلابة والوعي السياسي وأهم من هذا كله إيمانه بالقضية التي سيدافع عنها إنها قضية الشخص الملائم للمكان الملائم فالشخص الذي يتصدى لمسألة الحكم بما أنزل الله وتحقيق العدل بين الناس لا بد أن تتوفر له عدة شروط من أهمها الفقه باحكام الشريعة الإسلامية والتجرد من الهوى المسبق فضلا عن الحنكة والدراية السياسية والصلابة الشخصية والمهارة التفاوضية فلو كان قد أحسن اختيار ذلك الشخص عضو هيئة التحكيم لجاءت النتائج مختلفة بشكل كلي عما آلت إليه الأمور أدناها فضح النوايا الحقيقية لبني أمية وزيف تلك الرغبة المفاجئة التي انتابتهم في السلام ولكن معاول الهدم والخراب كانت قد بدأت تفعل فعلها في جسد الأمة التي كانت في بداية مراحل تكوينها ومن هنا كان ذلك الاختيار المشئوم للحكمين موصلا لتلك الكارثة التي لحقت بالأمة الإسلامية ومكملا لخلل الأداء السياسي الذي بدأ بطرح التحاكم إلى كتاب الله كورقة في اللعبة السياسية ووصولا لاختيار محكم يفتقر إلى الحد الأدنى من المؤهلات اللازمة للتصدي لهذه المهمةو من هنا يمكن لنا أن نفهم معنى تلك الكلمات التي قيلت في حق أبي موسى الأشعري لا على أنها سب لرجل من القرون

الثلاثة الأولى بل على أنها وصف لحال رجل وضع نفسه في موضع لا يقدر على تحمل أمانته وضعه قوم لا يكادون يفقهون قولا ومع ذلك استنكفوا أن يتعلموا من سيدهم ومربيهم.

لقد عبرت رسالة الإمام إلي معاوية بعد قبوله للتحكيم عن هذا المعنى أن الإجابة للتحكيم إنما هي استجابة لمبدأ قرآني ولحكم الله عز وجل حيث قال:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان أما بعد: فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه إتباع ما حسن به فعله واستوجب فضله وسلم من عيبه وإن البغى والزور يزريان بالمرء في دينه ودنياه فاحذر الدنيا فإنه لا فرح في شيئ وصلت إليه منها ولقد علمت أنك غير مدرك ما قضى فواته وقد رام قوم أمرا بغير الحق وتأولوه على الله عز وجل فأكذبهم ومتعهم قليلا ثم اضطرهم إلى عذاب غليظ فاحذر يوما يغتبط فيه من حمد عاقبة عمله ويندم فيه من أمكن الشيطان من قياده وغرته الدنيا واطمأن إليها ثم إنك دعوتني إلى حكم القرآن ولقد علمت أنك لست من أهل القرآن ولا حكمه تريد والله المستعان فقد أجبنا القرآن إلى حكمه وليس إياك أجبنا ومن لم يرض بحكم القرآن فقد ضل ضلالا بعيدا.

الإمام علي يؤسس أول حكومة في التاريخ الإسلامي:

ثم بدأت المفاوضات الإجرائية فجاء الأشعث بن قيس إلى الإمام فقال يا أمير المؤمنين ما أرى الناس إلا قد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد ونظرت ما الذي يسأل فقال آته إن شئت فأتاه فسأله يا معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم إلي ما أمر الله به فابعثوا رجلا منكم ترضون به ونبعث منا رجلا ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله ولا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال الأشعث هذا هو الحق وانصرف إلى علي (ع) فأخبره فبعث علي قراء من أهل العراق وبعث معاوية قراء من أهل العراق فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصاحف فنظروا فيه وتدارسوا واجتمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن ويميتوا ما أمات القرآن ورجع كل فريق إلى صاحبه فقال أهل الشام إنا قد رضينا واخترنا عمرو بن العاص وقال الأشعث والقراء الذين صاروا خوارج فيما بعد نحن قد رضينا واخترنا أبا موسى الأشعري فقال لهم الإمام أنا لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه.

كارثة جديدة لأن المصائب لا تأتى فرادى فلماذا أبو موسى الأشعرى واسمه الحقيقي عبد الله بن قيس وكيف يختار أهل الشام حكما كان ولازال لصيقا بابن أبي سفيان بينما يختار

أهل العراق حكما كانت أهم صفاته بغضه للإمام وخذلانه له؟؟ كيف يختار أهل العراق حكما لا يجيد عرض قضيتهم التي ضحوا وقتلوا من أجلها بينما كان هو جالسا يخذل الناس عن نصرتهم واللحاق بهم المعنى الوحيد لهذا الاختيار المتناقض هو أنهم اختاروا محاميا قد خسر قضية الماضي بل وعقد العزم على أن يخسر قضية الحاضر والمستقبل وهذا ما حدث بالفعل.

لقد افتقد أبو موسى منذ البدء كل المقومات التي تؤهله لتمثيل معسكر الشرعية ومن هنا كان قول الإمام أنا لا أرضى بأبي موسى ولا أرى أن أوليه فضلا عن بقية سجايا الرجل التي عرضها الحكماء والمجربون ولكن الكلمة الفصل في هذا الوقت كانت للحمقى والمرضى والمنافقين الذين أجابوا إمامهم إنا لا نرضى إلا به فإنه كان قد حذرنا مما وقعنا فيه فرد الإمام إنه ليس لي برضى وقد فارقني وخذل الناس عني وهرب حتى أمنته بعد أشهر ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك.

قالوا والله ما نبالي أكنت أنت أو ابن عباس ولا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء ليس إلى واحد منكما أدنى من الآخر قال علي عليه السلام فإني أجعل الأشتر قالوا وهل نحن إلا في حكم الأشتر قال علي وما حكمه قالوا حكمه أن يكون ما أراد وما أردت.

نحن أمام أول محاولة لتأسيس هيئة حكومية بالمصطلح المعاصر ولا نقول أنها تجربة فنحن نتحدث عن علي بن أبي طالب معلم الأمة وأستاذها وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي وقف يعلم الأمة التوحيد على منبر نصبوه له من الأحجار وهو الآن يحاول أن يعلمها الاعتماد على الذات هذه المرة واقفا على الأشواك التي نصبتها له أمة السوء لماذا لم يتعلم هؤلاء الصبية طوال اللسان وقتها من الإمام ولماذا يعرض صبية آخر الزمان عن التعلم من الإمام الحقيقي لا من الأئمة المزيفين الذين لم يبق شبر من الأرض إلا ملأه زهمهم ونتنهم فلو كان هؤلاء يومها جادين في الوصول لحكم الله لتعلموا من أستاذهم ولو كان أحفادهم صادقين في ادعاءهم لتعلموا من إمام الأمة ولما كان همهم الأول والأخير هو محاربة شيعته وتلاميذه عليه السلام.

ترى ما هو الفارق بين هؤلاء وبين بني إسرائيل في ردهم على نبيهم موسى عليه السلام حينما قال لهم إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فأخذوا يراجعونه تارة ما لونها وتارة ما هى وتارة إن البقر تشابه علينا المهم لقد فتح باب اللجاج والجدال وانتفت الحكمة وضاعت الطاعة الواجبة وتفرقت الأمة وصدق الله العظيم(بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير

علم فمن يهدي من أضل الله وما لهم من ناصرين) سورة الروم آية٢٩.

يعرض لنا نصر بن مزاحم وجها آخر للطريقة التي تم من خلالها إختيار أبي موسى الأشعري ليكون ممثلا لجبهة الإمام علي في الحكومة المصغرة المنوط بها الفصل في الحرب الدائرة.(لما أراد الناس عليا أن يضع الحكمين قال لهم إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه ونظره من عمرو بن العاص وإنه لا يصلح للقرشي إلا مثله فعليكم بعبد الله بن عباس فارموه به فإن عمرا لا يعقد عقدة إلا حلها عبد الله ولا يحل عقدة إلا عقدها ولا يبرم أمرا إلا نقضه ولا ينقض أمرا إلا أبرمه فقال الأشعث لا والله لا يحكم فينا مضريان حتى تقوم الساعة ولكن اجعل رجلا من اليمن إذ جعلوا رجلا من مضر فقال علي إني أخاف أن يخدع يمنييكم من مضرييكم فإن عمرا ليس من الله في شيئ إذا كان له في الأمر هوى فقال الأشعث والله لأن يحكما ببعض ما نكره وأحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من أن يكون بعض ما نحب في حكمهما وهما مضريان.

قال نصر وروى الشعبي أيضا مثل هذا.

هذا جزء من طريقة التفكير التي كان يفكر بها بعض المسلمين في صدر الإسلام : استهزاء بكتاب الله واستعماله كورقة في الصراع السياسي بهدف الاستيلاء على السلطة بالحق أو بالباطل نعرات قبلية ، وعنصرية تجعل من الإذعان للحق إذا جاء على يد رجل من مضر أمر لا يحتمل والإذعان للباطل إذا جاء على يد هيئة تحكيم نصفها من اليمن أمر مقبول ثم يأتي إلينا سيد قطب يرحمه الله ليقول لنا أن هؤلاء قد امتلأت قلوبهم من لا إله إلا الله وخلعوا كل الأنداد والأضداد والاعتزاز بالقوم والعشيرة وانصهر الأبيض والأسود والعربي والعجمي في بوتقة واحدة هي الإسلام النقي.و الواقع يقول أن هؤلاء الأفاضل لم يفرقوا بين الأهداف العليا للإسلام وبين الطريقة التي تفاعل بها هؤلاء البشر مع المثل العليا لهذا الدين العظيم. إن هذه التصورات الساذجة والسطحية أقامت صروحا وبنايات عالية سرعان ما انهارت لأنها لم تدرس التاريخ لا في العمق ولا حتى في السطح فنحن لا نتحدث عن أسرار لا يعرفها أحد غيرنا ولكنا نجتريء على فتح ملفات يعتقد أصحاب تلك البنايات أنهم لا يحتاجون إليها.

بعض من سجايا أبي موسى الأشعري

روى ابن عبد البر الأندلسي المحدث في كتابه الاستيعاب قال (و قد روى عن حذيفة بن اليمان فيه كلاما كرهت ذكره والله يغفر له) قال ابن أبي الحديد (وروي عن حذيفة وقد ذكر عنده أبو موسى بالدين أما أنتم فتقولون ذلك وأما أنا فأشهد أنه عدو لله ولرسوله وحرب لهما في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار وكان حذيفة عارفا بالمنافقين أسر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله أمرهم وأعلمه أسماءهم وروي أن عمارا سئل عن أبي موسى فقال لقد سمعت فيه من حذيفة قولا عظيما سمعته يقول صاحب البرنس الأسود ثم كلح كلوحا علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط وروي أيضا عن سويد بن غفلة قال كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان فروى لي خبرا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سمعته يقول إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم

حتى بعثوا حكمين ضالين ضلا وأضلا من اتبعهما ولا ينفك أمر أمتي حتى يبعثوا حكمين يضلان ويضلان من تبعهما فقلت له احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما قال فخلع قميصه وقال أبرأ إلى الله من ذلك كما أبرأ من قميصي هذا كما روى عن الإمام علي عليه السلام أنه كان يقول في أبي موسى صبغ بالعلم صبغا وسلخ منه سلخا) شرح النهج ج ٣ ص٢٨٨.

إذا فلم يكن رفض الإمام علي عليه السلام لهذا الاختيار نابعا من حب أو بغض شخصي بل من معرفة عميقة بشخصية الرجل ونواياه الحقيقية ولكن هيهات هيهات لو كان يطاع لقصير أمر.

ذهب القوم إلى أبى موسى فقالوا له إن الناس قد اصطلحوا قال الحمد لله رب العالمين قالوا وقد جعلوك حكما قال إنا لله وإنا إليه راجعون فجاء حتى دخل عسكر علي عليه السلام وجاء الأحنف فقال يا أمير المؤمنين إنك قد رميت بحجر الأرض ومن حارب الله ورسوله وأنف الإسلام وإني قد عجنت الرجل يعني أبا موسى وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر وانه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يكون في أكفهم ويتباعد منهم حتى يكون بمنزلة النجم منهم فإن شئت أن تجعلني حكما فاجعلني وإن شئت أن

تجعلني ثانيا أو ثالثا فإن عمرا لا يعقد عقدة إلا حللتها ولا يحل عقدة إلا عقدت له أشد منها فعرض الإمام ذلك على الناس فأبوه وقالوا لا يكون إلا أبا موسى.فقال الإمام أتوني بعبد الله بن قيس مبرنسا فقالوا ابعث هذا رضينا به والله بالغ أمره. و يروى عن أيمن بن خزيم الأسدى لما بلغه نبأ اختيار عبد الله بن قيس وإعراضهم عن ابن عباس فأرسل إلى أهل العراق بهذه الأبيات:

لو كان للقوم رأى يعصمون به
من الضلال رموكم بابن عباس
لله در أبيه أيما رجل
ما مثله لفصال الخطب في الناس
لكن رموكم بشيخ من ذوي يمن
لا يهتدي ضرب أخماس لأسداس
إن يخل عمرو به يقذفه في لجج
يهوي به النجم ينشا بين أتياس
أبلغ لديك عليا غير عاتبه
قول امرئ لا يرى بالحق من باس
ما الأشعرى بمأمون أبا حسن
فاعلم هديت وليس العجز كالراس

فاصدم بصاحبك الأدنى زعيمهم

إن ابـــن عبـــاس هـــو الآســـي

فلما بلغ الناس هذا الشعر طارت أهواء قوم من أولياء علي عليه السلام وشيعته إلى ابن عباس وأبت القراء (الخوارج فيما بعد) إلا أبا موسى ا.هـ.

هذه بعض الخصال والسجايا التي تميز بها أبو موسى الأشعري ممثل الإمام المفروض عليه من قبل هؤلاء الحمقى فهو كما وصفه الأحنف بن قيس كليل الشفرة أي لا يتصف بالحزم قريب القعر لا يغوص في الحقائق ولا أعماق الأمور ناهيك عن وصف ابن حزيم له بأنه لا يهتدي ضرب أخماس لأسداس إلى آخر هذه الأوصاف التي جعلته مؤهلا في نظر هؤلاء المجادلين ليدافع عن حق الأمة وعن حكم القرآن ولكن ما الحيلة والقوم يسيرون على هدي بني اسرائيل حذو النعل بالنعل.

مفاوضات تمهيدية حول شروط التحكيم:

فلما استقر الأمر على قبول الحكمين بدأت مفاوضات تمهيدية حول مهام تلك الحكومة المصغرة وشروط الهدنة إنها بلغة العصر وثيقة سياسية وقانونية تحدد مهام ووظائف هذه

الحكومة المصغرة الموكل إليها اتخاذ القرار الشرعي الصحيح في تلك القضية المعروضة أمامها:

(هذا ما تقاضى عليه علي أمير المؤمنين ومعاوية بن أبي سفيان فقال معاوية بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته وقال عمرو بل نكتب اسمه واسم أبيه إنما هو أميركم أما أميرنا فلا).لقد قال معاوية نصف الحقيقة بئس الرجل أنا إن أقررت أنه أمير المؤمنين ثم قاتلته لأن الحقيقة هي بئس الرجل أنا لأني قاتلت أمير المؤمنين فكونه أميرا للمؤمنين لم يكن متوقفا على إقراره كما لن تكن خلافة من سبقوه محتاجة لإقرار كل أهل الأرض ولا كانت متوقفة على إقراره كأنما أراد ابن أبي سفيان أن يقول أن أحدا لا يستحق لقب أمير المؤمنين إلا بإقراره. إنها أسخف نكتة في التاريخ ولكنها وبكل أسف وجدت من يصغي إليها ثم يترضى عليه !! سبحان الله.!!

فلما أعيد الكتاب إلى الإمام أمر بمحوه فقال الأحنف لا تمح اسم أمير المؤمنين عنك فإني أتخوف إن محوتها ألا ترجع إليك أبدا فلا تمحها فقال علي عليه السلام (إن هذا اليوم كيوم الحديبية حين كتب الكتاب عن رسول الله (ص) هذا ما صالح عليه محمد رسول الله (ص) سهيل بن عمرو فقال سهيل لو أعلم أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أخالفك إني إذن لظالم

لك إن منعتك أن تطوف ببيت الله الحرام وأنت رسوله ولكن اكتب من محمد بن عبد الله فقال لي رسول الله (ص) يا علي إني لرسول الله وأنا محمد بن عبد الله ولن يمحو عني الرسالة كتابي لهم من محمد بن عبد الله فاكتبها وامح ما أرادوا محوه أما إن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد. وفي رواية أخرى عن أمير المؤمنين قوله إن ذلك الكتاب أنا كتبته بيننا وبين المشركين واليوم اكتبه إلى أبنائهم كما كان رسول الله (ص) كتبه إلى آبائهم شبها ومثلا قال عمرو أتشبهنا بالكفار ونحن مسلمون فقال علي يا ابن النابغة ومتى لم تكن للكافرين وليا وللمسلمين عدوا).

كانت هذه الحقيقة في صراحتها ومرارتها فما أشبه الليلة بالبارحة.

فما هو السبب في تكرار نفس المشهد في كل المواقع التي خاضها رسول الله (ص) حيث كان دائما في مواجهته قيادة أموية فيوم بدر كان هناك أبو سفيان وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة أولئك الذين عجل علي بن أبي طالب بأرواحهم إلى النار وفي أحد كانت هناك هند بنت عتبة بنت وشقيقة الأشقياء الثلاثة ووالدة معاوية تلوك كبد سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ولذا انفردت بهذا اللقب اللاإنساني الفريد آكلة الأكباد وصار ابنها (أمير المؤمنين فيما بعد) ابن آكلة

الأكباد إنها عداوة متأصلة لله ولرسوله فضلا عن عمرو بن العاص الذي حارب كل المواقع ضد الإسلام والمسلمين ثم ادعى الإسلام قبل النهاية بلحظات.

نص الوثيقة:

يروي نصر بن مزاحم تفاصيل وثيقة الهدنة التي عقدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مع الفئة الباغية: (هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين وقاضى معاوية بن أبي سفيان ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين أننا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه لا يجمع بيننا إلا إياه وإن كتاب الله سبحانه وتعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا القرآن ونميت ما أمات القرآن فإن وجد الحكمان ذلك في كتاب الله اتبعاه وإن لم يجداه أخذا بالسنة العادلة غير المفرقة والحكمان عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص وقد أخذ الحكمان من علي ومعاوية أنهما آمنان على أنفسهما وأموالهما وأهلهما والأمة لهما أنصار وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين

عهد الله أن يعملوا بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة وإن الأمن والموادعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله بين الأمة بالحق لا بالهوى وأجل الموادعة سنة كاملة فإن أحب الحكمان أن يعجلا بالحكم عجلاه وإن توفى أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلا لا يألوا الحق والعدل وإن توفى أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرضون أمره ويحمدون طريقته اللهم إنا نستنصرك على من ترك ما في هذه الصحيفة وأراد فيها إلحادا وظلما).

الشريعة الإسلامية لا يطبقها إلا الأمناء عليها:

ماذا لو طبق هذا النص وخاصة تلك الفقرة التي يتعهد فيها الحكمان أن يحكما بين الأمة بالحق لا بالهوى؟؟؟ ما الذي جد عند هؤلاء حتى يتبرأوا من الهوى؟؟ أليس الهوى هو الذي دفعهم إلى الكفر ومعاندة رسول الله (ص) أكثر من عشرين عاما؟؟ أليس الهوى هو الذي دفعهم إلى محاربة رسول الله (ص) ودس الدسائس له ولأمته في حياته وبعد مماته؟؟ فما هو المعنى إذن أن تستحلف الأمة هؤلاء أن يحكموا بالحق لا بالهوى

وما قيمة هذا التعهد بالتزام الصدق من أناس أقاموا بنيانهم على التزييف والخداع والادعاء بأنهم خرجوا للثأر من قتلة عثمان فأسرفوا في سفك دماء المسلمين وكأنه لا يكفي مظلوم واحد بل لا بد من مائة ألف مظلوم وصدق الله العلى العظيم حينما وصف هؤلاء ومن على شاكلتهم بأنهم لا أيمان لهم ولكن لله أمر هو بالغه.

كانت ولا زالت العلة التي ضربت الأمة الإسلامية ذلك التناقض الفاحش بين الأقوال والأفعال فالكل يرفع شعارات الإسلام والحفاظ عليه وعلى مصلحة المسلمين بينما تشهد أفعال هؤلاء على حقدهم الدفين الذي يكنونه للإسلام وأهله يقول الناس في المثل السائر (قالوا للكذاب احلف قال جاء الفرج).

و هكذا فلا شك أن ابن العاص قد أحس بالفرج حينما وضع المسلمون مصيرهم بين أيديه طالبين منه أن يتعهد بأن يحكم بما أنزل الله ولا يتبع الهوى وهو المستهزئ (كما سنذكر فيما بعد) بالحديث عن الآخرة فما قيمة هذا التعهد بالنسبة له؟؟ وسنرى بعد هذا كيف أنهى التحكيم المهزلة من خلال هذه السخافة والخداع اللفظي للحكم الآخر الذي خدع نفسه وخدع قطاعا لا يستهان به من المسلمين قبل أن يخدعه ابن العاص.

فات هؤلاء البؤساء أن مسألة الحكم بما أنزل الله هي أعمق وأبعد بكثير من تلك التعهدات اللفظية فلا بد من تقوى وورع كامن ومتأصل في النفوس يمنع الحاكم في أمور المسلمين من اتباع الهوى ويجعله باحثا عن الحق يميل معه حيث مال فما لابن أبي سفيان وابن العاص والحكم بالحق أليست هذه نصيحة أمير المؤمنين لمن كانوا معه (مال معاوية وعمرا وابن أبي معيط وابن أبي سرح والحكم بكتاب الله إنهم لم يكونوا يوما أصحاب ديانة).

إن من المفيد أيضا أن نهدى هذه الصورة لأولئك الذين يتوهمون أن الحكم بما أنزل الله إنما هو مسألة قانونية وحسب وكما قال قائلهم (لا نريد أن نحكم بما أنزل الله بل نريد أن نُحكم بما أنزل الله) والأولى بالفتح والثانية بالضم مبنية للمجهول والسؤال هو كيف يمكن أن يكون الحاكم بما أنزل الله مجهول التاريخ والمصدر مفتقدا للعدالة؟؟. هذا هو المستحيل بعينه لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

ذلك الخلل الجوهري في تصور بعض المسلمين عن قضية الحكم بما أنزل الله قادهم للاعتقاد بأن المسألة هى مجرد مسألة قانونية تتحقق بمجرد إصدار رغبة رئاسية تتحول إلى

نصوص قانونية تحقق العدل والأمن والرخاء للناس سواء قام على تنفيذها علي بن أبي طالب أو معاوية بن أبي سفيان.

إن هذا الخلل قد أدى ببعض البسطاء من قادة الحركات الإسلامية للزعم بأن الشريعة الإسلامية كانت مطبقة طوال القرون الماضية حتى جاء الاستعمار الإنجليزي وألغى هذا التطبيق وفي رواية أخرى الغزو الفرنسي وهى كلها أوهام قاد إليها الخطأ الأكبر أن الدولة الأموية كانت تحكم بما أنزل الله. إن الشريعة الإسلامية تحتاج في تطبيقها إلى أناس موصوفين بالتقوى والعدالة لئلا يعاقب الضعيف ويترك القوى ويصبح حال الأمة المسلمة كحال من سبقوها من الأمم إذا سرق فيهم الضعيف قطعوه وإذا سرق فيهم القوى تركوه وهذا ما حدث بالفعل على يد بني أمية ومن ساروا على دربهم. و هكذا فما من أحد من الواعين كان بإمكانه أن يصدق أن النظام الأموي ورموزه يحملان رغبة حقيقية في التحاكم الصادق إلى كتاب الله وسنة رسوله باستثناء هؤلاء المغفلين.

ارهاصات الظهور الخوارجي:

نعود إلى نصر بن مزاحم يقول فلما تم الكتاب وشهدت الشهود وتراضى الناس خرج الأشعث ومعه نسخة من الكتاب يقرأها على الناس ويعرضها عليهم فمر به على صفوف من أهل الشام فأسمعهم إياه فرضوا به ثم مر على صفوف من أهل العراق وهم على راياتهم فأسمعهم إياه فرضوا به حتى مر برايات عنزة وكانوا أربعة آلاف فلما مر بهم الأشعث يقرأه عليهم قال فتيان منهم لا حكم إلا لله ثم حملا على أهل الشام بسيوفهما فقاتلا حتى قتلا على باب رواق معاوية فهما أول من حكم (بالتشديد من التحكيم) ثم مر به على مراد فقال صالح بن شفيق وكان من رؤوسهم ما لعلي في الدماء قد حكم◆ لو قاتل الأحزاب يوما ما ظلم لا حكم إلا لله ولو كره المشركون ثم مر على رايات بني راسب فقرأها عليهم فقال رجل منهم لا حكم إلا لله لا نرضى ولا نحكم الرجال في دين الله ثم مر على رايات تميم فقرأها عليهم فقال رجل منهم لا حكم إلا لله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين فقال رجل أتحكمون الرجال في أمر الله لا حكم إلا لله فأين قتلانا يا أشعث ثم شد بسيفه ليضرب به الأشعث فأخطأه وانطلق الأشعث إلى أمير المؤمنين علي عليه

السلام فقال يا أمير المؤمنين إني عرضت الحكومة على صفوف أهل الشام وأهل العراق فقالوا جميعا رضينا حتى مررت برايات بني راسب ونبذ من الناس سواهم فقالوا لا نرضى إلا حكم الله فمل بأهل العراق وأهل الشام عليهم حتى نقتلهم فقال علي عليه السلام هل هي غير راية أو رايتين ونبذ من الناس قال لا قال فدعهم قال نصر فظن علي (ع) أنهم قليلون لا يعبأ بهم فما راعه إلا نداء الناس من كل جهة ومن كل ناحية لا حكم إلا لله الحكم لله يا علي لا لك لا نرضى أن يحكم الرجال في دين الله إن الله قد أمضى حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا تحت حكمنا عليهم وقد كنا زللنا وأخطأنا حين رضينا بالحكمين وقد بان لنا زللنا وخطؤنا فرجعنا إلى الله وتبنا فارجع أنت يا علي كما رجعنا وتب إلى الله كما تبنا وإلا برئنا منك.

فقال علي ويحكم أبعد الرضا والميثاق والعهد أليس الله تعالى قد قال أوفوا بالعقود وقال وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا فأبى علي أن يرجع وأبت الخوارج إلا تضليل التحكيم والطعن فيه فبرئت من علي عليه السلام وبرء علي منهم إن هذا النص دليل قاطع لا يقبل الجدل على أن الإمام عليه السلام لم يكن مكرها بالمعنى الحرفي لكلمة الإكراه بل كان إكراها بالمعنى

السياسي لتلك الكلمة أي ترك الأولى نزولا على رأي المجموع فكيف يستدل الإمام بقوله تعالى أوفوا بالعقود إلا إذا كان العقد صحيحا ولو كان العقد فاسدا لما وجب الوفاء به بحال من الأحوال.

و هكذا نجحت مكيدة عمرو بن العاص في بث الفرقة في صفوف المسلمين وهو ما كان يسعى إليه بطرحه لفكرة التحكيم فالقوم إن قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا وزاد على هذا ظهور فرقة الخوارج رافعوا شعار إن الحكم إلا لله الحكم لله لا لك يا علي.

حتى هذه المرحلة كانت الخلافات ذات بعد سياسي في الأساس ولكن عندما طرح ابن العاص قذيفة التحكيم السامة متعددة المراحل التي لا يقتصر أثرها على مكان وزمان واحد فقد بدأت هذه الخلافات السياسية تأخذ بعدا عقائديا وفقهيا وصدق الله العلي العظيم (و ما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم) (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب) فصلت٤٥

الانشقاق حول مفهوم الحاكمية:

برز الانشقاق منذ تلك اللحظة حول مفهوم الحاكمية والحكومة الإسلامية فالطرح الأموي كان هو التحاكم في القضية موضع النزاع إلى القرآن الكريم.

فإذا تم قبول المبدأ والاستغناء عن القتال كوسيلة لتحقيق الهدف الشرعي المنشود أي الوصول إلى الحق أو إلى المراد الإلهي في القضية المعروضة على هيئة التحكيم كان من اللازم أولاتشخيص موضوع النزاع تشخيصا صحيحا وصائبا وتطبيق النص الشرعي على الحالة القائمة وهذا هو الطريق الصحيح وصولا إلى حكم الله في هذه المسألة أو تلك حتى لا تتشابه مسالك الهدى والضلال على غير الخبير أو على أصحاب الأهواء وجل من كانوا موجودين على ساحة الجدل السياسي آنئذ كانوا أحد ذلك الصنفين ولا زال الأمر ساريا إلى يومنا هذا لدى الغالبية العظمى ممن يرفعون شعار التحاكم إلى كتاب الله عز وجل من غير فقه ولا دراية لا بالفقه ولا بالواقع ناهيك عن كون أغلب هؤلاء من أصحاب الأهواء وممن لا

يؤتمنون على الحكم العادل في نعل حذاء فما بالك بمصير مجتمع أو أمة يزعم هؤلاء أنهم الأمناء عليها وعلى مصيرها.

و من هنا فالإمام علي عليه السلام عندما رفض القبول بالتحكيم لم يكن يصدر عن رفض مطلق للمبدأ وإنما كان يصدر عن رفض لإعمال مبدأ التحكيم في الحالة الواقعة فالتحكيم مبدأ قرآني يمكن إعماله في كثير من القضايا الاجتماعية مثل الخلافات الزوجية والديات وغيرها من المسائل الجارية أما أن يوضع التحكيم في مواجهة الشورى وإجماع المسلمين فهو ما لا يمكن قبوله بهذه البساطة... هذه واحدة. ناهيك عن الأخطاء التي ارتكبت في اختيار هيئة التحكيم وأدت إلى اختيار شخصين أحدهما أبي موسى بصفاته التي أوردناها والثاني هو عمرو بن العاص عدو رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته منذ الأزل قد أدت إلى إفراغ التحكيم من مضمونه ولكن يبقى أن أداة التحكيم هي إحدى أدوات الحكومة الإسلامية التي يمكن لها أن تؤدي دورا عظيما في حل مشكلات الأمة خاصة لو أحسن اختيار الحكمين وعملا بما اتفقا عليه ولو حافظ معسكر الحق على تماسكه ووحدة كلمته لما حدثت هذه السلسلة من الكوارث والانشقاقات الكبرى من هنا كان رفض الإمام للرجوع عن قبول التحكيم.

قال نصر وقام إلى علي عليه السلام محمد بن حريش فقال يا أمير المؤمنين أما إلى الرجوع عن هذا الكتاب من سبيل فو الله إني أخاف أن يورث ذلا فقال علي (ع) أبعد أن كتبناه ننقضه إن هذا لا يحل.

كان الإمام علي عليه السلام يرسي القواعد الراسخة للدولة الإسلامية المبنية على الحق والعدل والتزام المواثيق والوفاء بالعهود وكلها كانت مباديء جديدة على ساحة السياسة وما زالت تلك المباديء مجهولة لدى الغالبية العظمى من المسلمين وخاصة تلك القيادات الحركية التي انطلقت في رحلة التغيير من منطلق التقديس لكل ما هو قديم (القرون الثلاثة الأول) وكان من ضرورات ذلك التقديس طمس معالم المدرسة العلوية الكبرى مدرسة الإسلام الرسالي الحقيقي في مواجهة الانحراف الأموي وبالتالي فلا أحد من هؤلاء بإمكانه أن يرجع إلى هذه المدرسة أو أن يرجع إلى النماذج التي قدمها أمير المؤمنين للبشرية جمعاء ولا أقول للأمة الإسلامية وحدها لأنه لو فعل هذا لأتهموه بالتشيع ولجرى إقصائه من طابور المنتظرين لنيل منصب في (دولتهم الإسلامية القادمة) أو على الأقل غنيمة من تلك الغنائم التي يوزعونه في (مرحلة ما قبل الدولة).

بدايات الظهور الخوارجي:

نعود إلى ظاهرة الخوارج في تجلياتها الأولى فالذين أصروا وألحوا على قبول التحاكم إلى كتاب الله باعتبار هذا مظهرا من مظاهر التقوى والورع عادوا وتراجعوا عن موافقتهم متعللين بأنهم أرادوا حكم الله لا حكم الرجال. هل أراد هؤلاء أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة فيحكم بينهم أم أن حكم الله لا بد من إجرائه على أيدي بشر من خلق الله موصوفين بالعدالة والإخلاص لله عز وجل؟؟؟

كان قبول هؤلاء للتحكيم بصورة متعجلة وإصرارهم عليه ثم تراجعهم عنه بصورة أكثر تعجلا ووصفهم له بأنه زلل وخطأ (سيتحول هذا الوصف بعد ذلك إلى كفر) ينم عن سطحية وجهل وبداوة. إنها أمة وجدت نفسها فجأة في مواجهة طاحونة ومعترك فكري بينما هي في مراحل نضجها الأولى.

بعض ملامح الحكومة الإسلامية:

الحكومة الإسلامية الإلهية كما نفهمها من القرآن هي حكومة ابتلاء واختبار لأعمال العباد البر منهم والفاجر وليست حكومة ملائكة يمشون في الأرض (و لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون) الزخرف ٦٠ إنها حكومة بشر يحكمون ويجتهدون بعلم وإخلاص في تنزيل الأوامر الإلهية على واقع البشر (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) المائدة.

إنها حكومة يقودها أولوا الأمر المذكورون في كتاب الله (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم) سورة النساء. وأولوا الأمر هؤلاء من أهم صفاتهم العلم والعدالة وإلا لما أوجب الله لهم سمعا ولا طاعة فكيف يأمر ربنا عز وجل بطاعة الظالمين وهو الذي يأمر بالعدل والإحسان.

ثم إنها حكومة تقوم على تعاقد حر ومباشر بين الأمة وقادتها وليس على مبدأ الإذعان فها هو الإمام علي عليه السلام يكرر في كل موضع (ليس لي أن أحملكم على ما

تكرهون) ثم هو ينزل على رأي الجمهور مع قناعته التامة بخطأ هذا الرأي من الناحية السياسية طالما أنه يحتمل وجها من وجوه الصواب من الناحية الشرعية.

يبقى أن نقول أن قبول الإمام بالتحكيم بالرغم من كونه لا يمثل الحل الأمثل للقضية المطروحة لم يكن من ابتداعه فقد نزل رسول الله (ص) على رغبة المسلمين في الخروج لملاقاة الكفار خارج المدينة يوم أحد بالرغم من علمه (ص) أن الأفضل هو التحصن داخل أسوار المدينة ولما أحس البعض بأن رسول الله لم يكن متحمسا لهذا الخيار قالوا له يا رسول الله إن أردت أن ترجع فارجع رفض هذا العرض وقال ما كان لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها ولما يحكم الله بينه وبين عدوه.

المسألة الأخرى التي يحاول بها البعض أن يطعن على مكانة أمير المؤمنين هي قبوله أن يوضع الحكم في يد من هو أقل منه منزلة والجواب على هذا أن رسول الله قد حكم سعد بن معاذ في بني قريظة الذين غدروا وخانوا وتحالفوا مع كفار قريش فحكم رضوان الله عليه بذبح الرجال وإبقاء النساء فقال النبي (ص) يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات وما قال أحد أن هذا فيه تقليل لشأن رسول الله (ص).

إذن فالحكومة الإسلامية لا تجعل من كل تصرفاتها تصرفات مقدسة من خالفها فقد كفر بل تعطي الناس مساحة يتداولون فيها حول وجوه الصواب والخطأ.

العجيب أن يأتي بعض الإسلاميين في آخر الزمان ويقيمون مناظرة عن الشورى هل هي ملزمة أم غير ملزمة. نعود إلى الكارثة العظمى رافعوا شعار (إن الحكم إلا لله ولا نرضى بأن يحكم الرجال) من أين جاء هؤلاء بهذا الفهم الأحمق الذي يضع حكم الرجال في مواجهة حكم الله؟؟ فهؤلاء الرجال إما مسلمون ملتزمون بحكم الله أو كافرون هذا هو أول الاحتمالات. والكافرون لا علاقة لهم من الأصل بمبدأ الحكم بما أنزل الله.

أما المسلمون فهم إما عالم أو جاهل أو منافق والجاهل لا حكم له فيما لا علم له به.

يبقى صنفان عالم عادل أو منافق... فلكي ننجو من مكر هؤلاء المنافقين وسوء نيتهم ليس أمامنا إلا الالتزام باتباع العلماء العدول. وهؤلاء كان يمثلهم يومها علي بن أبي طالب باب مدينة علم رسول الله (ص) وحامل لوائه ووصيه ووارثه وعلى الناحية الأخرى كان ابن آكلة الأكباد ومن نصبوا لله ولرسوله حربا على مدى الأجيال.

و يبقى فرض رابع مستحيل وهو الفرض الذي تبناه هؤلاء الخوارج القدامى والمعاصرين أن يكون الحكم بما أنزل الله خاضعا لفهم كل مسلم على حدة أو خاضعا لفهم مجموعة من الناس (هى الجماعة أو التنظيم بالنسبة للتجليات المعاصرة لفكر الخوارج) الذين يتميزون بإعجابهم وافتتانهم بعبادتهم وقراءتهم للقرآن وصيامهم وقيامهم فضلا عن اعتقادهم بأنهم هم الأكثر زهادة وقربا إلى الله عز وجل هؤلاء هم خوارج أول الزمان وآخر الزمان وتلك هي ميزتهم التي فضلوا بها أنفسهم على باقي المسلمين أي غرورهم وتبجحهم على كل من عداهم.

من هنا يمكننا أن نلخص أهم ملامح الحكومة الإسلامية:

- التزامها بالأمر الإلهي.
- إنها حكومة تعاقد حر سواء في قبول الأمر الإلهي أو في قبول قيادة أولي الأمر وليست حكومة ديكتاتورية الحق ومن باب أولى ديكتاتورية الباطل.
- حكومة تقوم على الاجتهاد المبني على العلم والإخلاص في تنزيل الحكم الشرعي على الواقع البشري. إنها حكومة بشرية أو مدنية أو شوروية لا يهم الاسم المهم أن يفهم

الناس أن الحكم الشرعي لا ينطبق على واقع البشر بصورة تلقائية بل لا بد من أداة بشرية تترجم هذا الحكم إلى منطوق واقعي وقانوني.

- إنها حكومة العدل والعدالة العدل في القانون والعدالة في الأشخاص فالعدالة هي السمة الأبرز لكل رموزها بدءا من إمام الأمة إلى أقل الولاة وأئمة الصلاة لأن فاقد الشيء لا يعطيه ومن هنا لم يكن من المتصور أن يصدق عمرو بن العاص ولا معاوية أو من كانوا على شاكلتهم من حكام ذلك الزمان في دعواهم بالتحاكم إلى ما أنزل الله وتطبيق الشريعة الإسلامية.

عودة إلى تسلسل الأحداث:

ثم حدث مزيد من التخلخل بعد رجوع الخوارج عن التحكيم فبدأ البعض في المطالبة بالرجوع عن التحكيم فها هو محمد بن جريش يقول يا أمير المؤمنين أما إلى الرجوع عن هذا التحكيم من سبيل فوالله إني أخاف أن يورث ذلا فقال علي (ع) أبعد أن كتبناه ننقضه إن هذا لا يحل وجاءت همدان كأنها ركن حصين فيهم سعيد بن قيس فقال ها أنا ذا وقومي لا نرد

أمرك فقل ما شئت نعمله فقال أما لو كان هذا قبل سطر الصحيفة لأزلتهم عن معسكرهم أو تنفرد سالفتي ولكن انصرفوا راشدين.

كما روى نصر أيضا أنه قيل للإمام علي (ع) لما كتبت الصحيفة إن الأشتر لم يرض بما في هذه الصحيفة ولا يرى إلا قتال القوم فقال علي بلى إن الأشتر ليرضى إذا رضيت وقد رضيت ورضيتم ولا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الإقرار إلا أن يعصى الله أو يتعدى ما في كتابه وأما الذي ذكرتم من تركه أمري وما أنا عليه فليس من أولئك ولا أعرفه على ذلك وليت فيكم مثله اثنين بل ليت فيكم مثله واحد يرى في عدوي مثل رأيه إذا لخفت مؤنتكم علي ورجوت أن يستقيم لي بعض أودكم.

إذن فالدولة المسلمة لا تنقض عهودها متى أبرمتها بل تحفظها وتحافظ عليها لأن العهد كان مسئولا.

ثم بدأت المشاورات التمهيدية وبدأ كل طرف يجهز خططه وأوراقه التفاوضية ويعد حججه التي سيدلي بها في مواجهة الخصم.

على الجانب الأموي دعا معاوية عمرا ليبعثه حكما فجاء وهو متحزم عليه ثيابه وسيفه وحوله أخوه وناس من

قريش. فقال له معاوية يا عمرو إن أهل الكوفة أكرهوا عليا على أبي موسى وهو لا يريده ونحن بك راضون وقد ضم إليك رجل طويل اللسان كليل المدية!!! وله بعد حظ من دين فإذا قال فدعه حتى يقول ثم قل فأوجز واقطع المفصل ولا تلقه بكل رأيك واعلم أن خبء الرأي زيادة في العقل فإن خوفك بأهل العراق فخوفه بأهل الشام وإن خوفك بعلي فخوفه بمعاوية وإن خوفك بمصر فخوفه باليمن وإن أتاك بالتفصيل فأته بالجمل. لم يرق هذا الكلام لعمرو بن العاص فهو بعون الشيطان كان مستغنيا عن معاوية وعن نصائحه وخاصة أنه قد اشتم من أسلوبه في النصح أنه يعتبر نفسه أي معاوية صاحب حق أصيل في الخلافة فأراد أن يضع من غرور سيده فقال له يا معاوية أنت وعلي رجلا قريش ولم تنل من حربك ما رجوت ولم تأمن ما خفت ذكرت أن لعبد الله (أبا موسى) دينا وصاحب الدين منصور !!! وأيم الله لأفنين علله ولأستخرجن خبأه ولكن إذا جاءني بالإيمان والهجرة ومناقب علي ما عسيت أن أقول؟؟ قال قل ما ترى قال عمرو وهل تدعني وما أرى؟؟ وخرج مغضبا كأنه كره أن يوصى ثقة بنفسه. وقال لأصحابه حين خرج إنما أراد معاوية أن يصغر أمر أبي موسى لأنه علم أني خادعه غدا فأحب أن يقول أن عمرا لم يخدع أريبا.

إنه خلاف المجرمين والقتلة أيهم ينسب لنفسه فضل الجريمة ولكنهم مجرمين من طراز فريد يعرفون الحق الذي يحاربونه معرفة جيدة إنهم ليسوا جاهلين ولا مجتهدين كما يزعم المتواطئون عل طمس الحق وإطفاء نور الله فماذا يقول معاوية إذا جاءه أبو موسى بالإيمان والهجرة والجهاد ومناقب علي التي يعرفها هؤلاء ويطمسها فقهاء السوء إلى يومنا هذا ماذا عساه أن يقول إذا طرحت الحقائق وانبري أبو موسى للدفاع عن الحق الذي يعرفه ويهوم حوله بكلمات لا معنى لها عن الفتنة وحرمة سفك الدماء وهو خطاب كان ينبغي أن يوجه إلى من سفك الدماء دفاعا عن الباطل لا دفاعا عن الحق. وعلي كل فإن أبي موسى لم يقل شيئا من هذا إنما استمر يهذي بتلك الكلمات غير المفهومة عن الفتنة وسفك الدماء حتى وقعت الكارثة.

على الناحية الأخرى كان المخلصون من أهل العراق متخوفون مما سيفعله أبو موسى الأشعري في جلسات التحكيم فجاءه شريح بن هانيء وأخذ بيده وقال يا أبا موسى إنك قد نصبت لأمر عظيم لا يجبر صدعه ولا تستقال فتنته ومهما تقل من شيء عليك أو لك يثبت حقه ويرى صحته وإن كان باطلا وإنه لا بقاء لأهل العراق إن ملكهم معاوية ولا بأس على أهل الشام إن ملكهم علي وقد كانت منك تثبيطة أيام الكوفة

والجمل فإن تشفعها بمثلها يكن الظن بك يقينا والرجاء منك يأسا.

ثم قال:

أبـا موسـى رميـت بشـر خصـم
فـلا تضـع العـراق فـدتك نفسـي
و أعـط الحـق شـامهم وخـذه
فـإن اليـوم في مهـل كـأمس
و إن غـدا يجـيء بمـا عليـه
كـذاك الـدهر مـن سـعد ونحـس
و لا يخـدعك عمـرا وإن عمـرا
عـدو الله مطلـع كـل شمـس
لـه خـدع يحـار العقـل منهـا
مموهـة مزخرفـة بلـبس

فقال أبو موسى ما ينبغي لقوم اتهموني أن يرسلوني لأدفع عنهم باطلا أو أجر إليهم حقا.

و جاءه ابن عباس وعنده وجوه الناس وأشرافهم فقال له يا أبا موسى إن الناس لم يرضوا بك ولم يجتمعوا عليك لفضل فيك لا تشارك فيه فما أكثر أشباهك من المهاجرين

والأنصار والمتقدمين قبلك ولكن أهل العراق أبوا إلا أن يكون الحكم يمانيا ورأوا أن معظم أهل الشام يمان والله إني لأظن ذلك شرا لك ولنا فإنه قد ضم إليك داهية العرب وليس في معاوية خلة واحدة يستحق بها الخلافة فإن تقذف بحقك على باطله تدرك حاجتك منه وإن يطمع باطله في حقك يدرك حاجته منك واعلم يا أبا موسى أن معاوية طليق الإسلام وأن أباه رأس الأحزاب وأنه يدعي الخلافة من غير مشورة ولا بيعة فإن زعم لك أن عمر وعثمان استعملاه فلقد صدق استعمله عمر وهو الوالي عليه بمنزلة الطبيب يحميه ما يشتهي ويوجره ما يكره ثم استعمله عثمان برأي عمر وما أكثر من استعملا ممن لم يدع الخلافة واعلم أن لعمرو مع كل شيء يسرك خبأ يسوءك ومهما نسيت فلا تنسى أن عليا بايعه القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وإنها بيعة هدى وإنه لم يقاتل إلا العاصين والناكثين فقال أبو موسى رحمك الله والله ما لي إمام غير علي وإني لواقف عندما رأى وإن حق الله أحب إلي من رضى معاوية وأهل الشام وما أنت وأنا إلا بالله.

أما النجاشي الشاعر فكان صديقا لأبي موسى فكتب إليه يحذره من عمرو بن العاص:

يؤمل أهل الشام عمرا وإني
لآمل عبد الله عند الحقائق

و إن أبا موسى سيدرك حقنا
إذا ما رمى عمرا بإحدى البوائق

فلله ما يرمي العراق وأهله
به منه إن لم يرمه بالصواعق

و كان آخر من ودع أبا موسى الأحنف بن قيس فأخذ بيده ثم قال له يا أبا موسى اعرف خطب هذا الأمر واعلم أن له ما بعده وإنك إن أضعت العراق فلا عراق اتق الله فإنها تجمع لك دنياك وآخرتك وإذا لقيت غدا عمرا فلا تبدأه بالسلام فإنها وإن كانت سنة إلا أنه ليس من أهلها ولا تعطه يدك فإنها أمانة وإياك أن يقعدك على صدر الفراش فإنها خدعة ولا تلقه إلا وحده واحذر أن يكلمك في بيت فيه مخدع تخبأ لك فيه الرجال والشهود ثم أراد أن يختبر ما في نفسه لعلي فقال له فإن لم يستقم لك على الرضى بعلي فليختر أهل العراق من قريش الشام من شاءوا أو فليختر أهل الشام من قريش العراق من شاءوا فقال له أبو موسى قد سمعت ما قلت ولم ينكر ما قاله

عن زوال الأمر عن علي فرجع الأحنف إلى علي (ع) فقال له أخرج أبو موسى والله زبدة سقائه في أول محضة لا أرانا إلا أرسلنا رجلا لا ينكر خلعك فقال علي (ع) الهر غالب على أمره.

إنه الرجل الكارثة ولا يمكن وصفه بغير هذا الوصف فهو كما وصفوه تائه ومغفل كليل الشفرة قريب القعر ليس من موالاة أمير المؤمنين علي (ع) في شيء يدافع عن قضية لا يؤمن بها.تولاه الحكماء والعارفون بالمشورة والنصيحة فلم يجدي معه شيء من النصح فالطبع غالب والهوى لا دواء له كان هذا هو اختيار الأمة ومن قال أن اختيار الأمة دائما هو الأصوب؟؟ (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) سورة القصص.

روى البلاذري في كتاب أنساب الأشراف أنه قيل لعبد الله بن عباس ما منع عليا أن يبعثك مع عمرو يوم التحكيم فقال منعه حاجز القدر وقصر المدة أما والله لو كنت لقعدت على مدارج أنفاسه ناقضا ما أبرم ومبرما ما نقض أطير إذا أسف وأسف إذا طار ولكن قد سبق قدر وبقي أسف ومع اليوم غد والآخرة خير لأمير المؤمنين.

بداية جلسات الحكومة المصغرة:

انعقدت الجلسة الأولى للتحكيم في دومة الجندل.كانت التيارات والأهواء السياسية تعصف بخيمة الرجلين من كل اتجاه وحام حول المكان كل من كان في قلبه مرض أو غرض وكل من كره منذ البدء أن يستقر الأمر لأهل بيت العصمة والنبوة فقد كانت وطأة الحق العلوي ثقيلة على كثير من النفوس بالرغم من معرفة الجميع بفضل الإمام علي وسابقته وبقدرته على أن يجتاز بهذه الأمة بحار التيه والضلال فضلا عن أنه لا وجه للمقارنة من قريب أو بعيد بينه وبين ابن آكلة الأكباد وأول العارفين بكل تلك الحقائق كان هذا الحكم الأموي عمرو بن العاص الذي قال لسيده (فإذا جاءني بالإيمان والهجرة فما عسى أن أقول له).

ها هو عمر بن سعد بن أبي وقاص (قائد الجيش الذي قتل الحسين بن علي عليه السلام فيما بعد) يطمع أن يكون الأمر لأبيه سعد وكان معتزلا لأمر المسلمين فذهب إلى أبيه فسأله عن الأمر فقال له التقى الناس بصفين فكان بينهم ما بلغك حتى تفانوا ثم حكموا عبد الله بن قيس وعمرو بن

العاص وقد حضر أناس من قريش عندهما وأنت من أصحاب رسول الله (ص) ومن أهل الشورى ومن قال له النبي (ص) اتقوا دعوته ولم تدخل في شيء مما تكره الأمة فاحضر دومة الجندل فإنك صاحبها غدا فقال مهلا يا عمر إني سمعت رسول الله (ص) يقول يكون بعدي فتنة خير الناس فيها التقي الخفي وهذا أمر لم أشهد أوله فلا أشهد آخره ولو كنت غامسا يدي في هذا الأمر لغمستها مع علي بن أبي طالب وقد رأيت أباك كيف وهب حقه في الشورى وكره الدخول في الأمر.

في هذه الأثناء حاول معاوية أن يحشد حوله مزيدا من الدعم السياسي فبعث إلى رجال من قريش كانوا قد كرهوا أن يعينوه في الحرب أن الحرب قد وضعت أوزارها والتقى هذان الرجلان في دومة الجندل فاقدموا علي- بافتراض أن هؤلاء كانوا محايدين على الحقيقة فلماذا لا يقدمون على علي؟؟-فأتاه عبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطاب والمغيرة بن شعبة وكان مقيما بالطائف لم يشهد الحرب ولا شك أن هذا التوجه يكشف عن القبلة السياسية لهؤلاء الرجال فقال للمغيرة ما ترى قال لو وسعني أن أنصرك لنصرتك ولكن على أن آتيك بأمر الرجلين فرحل إلى دومة الجندل فدخل على أبي موسى كالزائر له فقال يا أبا موسى ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره الدماء قال أولئك خير الناس خفت ظهورهم من دمائهم

وخمصت بطونهم من أموالهم ثم أتى عمرا فقال يا أبا عبد الله ما تقول فيمن اعتزل هذا الأمر وكره الدماء قال أولئك شرار الناس لم يعرفوا حقا ولم ينكروا باطلا فرجع المغيرة إلى معاوية فقال له لقد ذقت الرجلين أما عبد الله بن قيس فقد خلع صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد هذا الأمر وهواه في عبد الله بن عمر أما عمرو فهو صاحبك الذي تعرف.

(تلك أمة) قد مزقتها الأهواء وفرقتها المطامع ونهدي هذا الكلام لبعض الذين يقولون بمرجعية القرون الثلاثة الأولى وفي رواية أخرى بمرجعية الصحابة أجمعين فنحن أمام أناس كلهم من (الصحابة) أحدهم هو أبو موسى يرى أن الخير كل الخير في الوقوف على الحياد بين الحق والباطل والظالم والمظلوم أما عمرو بن العاص وهو أيضا من (الصحابة) فيرى غير ذلك فالخير كل الخير عنده هو في الوقوف إلى جوار الباطل في مواجهة إمام الحق وأن من لم يحذو حذوه هم شر خلق الله بينما يرى آخرون أن الخير هو الاكتفاء بنصرة بني أمية باللسان والجنان دون السيف والسنان أما تلك الشخوص التي ذكرناها آنفا فمكثوا في جحورهم ينتظرون هزيمة الحق العلوي وانتصار الباطل الأموي ليخرجوا منها بعد ذلك وأيديهم غير ملوثة بالدماء ولا يهمهم تلوث القلوب ليدلوا بعدة تصريحات وبعض روايات ولا بأس بنسبة بعضها إلى رسول الله صلى الله عليه

وآله وسلم عن صحة موقفهم وسلامة رؤيتهم تلك الروايات التي سيجد فيها أحفادهم من المتلونين ألوانا وأصحاب المواقف التائهة مادة خصبة لتزييف وعي الأمة وخلط الحق بالباطل ظلمات بعضها فوق بعض ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

هكذا كانت رياح الأهواء تعصف بمصير الأمة المعلق في خيمة دومة الجندل وطالما أن المسرح صار مسرح الأهواء فالكلمة العليا هي للشيطان.

محضر المفاوضات:

أقبل أبو موسى إلى عمرو قائلا هل لك في أمر هو للأمة صلاح ولصلحاء الناس رضا نولي هذا الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب الذي لم يدخل في شيء من هذه الفتنة ولا هذه الفرقة (عرض على طريقة لقد أعطى من لا يملك لمن لا يستحق).

فرد عليه عمرو فأين أنت يا أبا موسى عن معاوية فأبى عليه أبو موسى.

فقال عمرو ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما.

قال أبو موسى بلى.

قال اشهد ثم قال ما (و ما يمنعك من معاوية وهو ولي عثمان وقد قال الله تعالى "و من قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا" ثم إن بيت معاوية من قريش ما قد علمت فإن خشيت أن تقول الناس ولي معاوية وليست له سابقة فإن لك حجة أن تقول وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه الحسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة أم المؤمنين وقد صحبه وهو أحد الصحابة ثم عرض له بالسلطان فقال له إن هو ولي الأمر أكرمك كرامة لم يكرمك أحد قط قبلها.

فقال أبو موسى اتق الله يا عمرو !! وأما ما ذكرت من الشرف فإن هذا الأمر لا يعطى على الشرف لو كان الشرف لكان أولى الناس بهذا الأمر أبرهة بن الصباح (من هو أبرهة بن الصباح هذا؟؟ واحد يعرفه أبو موسى) إنما هو لأهل الدين والفضل مع أني لو كنت أعطيه أفضل قريش شرفا لأعطيته لعلي بن أبي طالب (ما يمنعك أن تتركه لا أن تعطيه لعلي بن أبي طالب؟؟؟؟!!!) وأما قولك أن معاوية ولي عثمان فإني لم أكن أوليه إياه لنسبته من عثمان وأدع المهاجرين الأولين وأما تعريضك بالإمرة والسلطان فوالله لو خرج لي من سلطانه ما

وليته وما كنت أرتشي في الله ولكن إن شئت أحيينا سنة عمر بن الخطاب.

ما كل هذا التخبط من هذا الشيخ الذي وصفه الشاعر بأنه لا يهتدي ضرب أخماس لأسداس ولماذا الإصرار على إدانة الإمام ومساواته بالفئة الباغية ووصمه بهذه الوصمة البغيضة أنه صاحب فتنة وأنه مسئول عن سفك دماء حرمها الله إلا بالحق هل كان الرجل يزعم أنه أفقه من الإمام وأعلم منه بالحلال والحرام أو أنه أحرص منه على دماء المسلمين كانت هذه وصية ابن عباس له وابن عباس هو حبر الأمة الذي أوصاه قائلا (إنه لم يقاتل إلا العاصين والناكثين) لماذا هذه الجرأة والتطاول على مقام الإمام واعتباره (مجرما) ألأنه كان حازما في مواجهة المفسدين ولم تأخذه في الله لومة لائم؟؟؟ هل كان مطلوبا منه أن يغض الطرف عن مخطط تمزيق الأمة الذي صار بعد هذا حقيقة واقعة مثلما هو مطلوب منه في هذا (التحكيم) أن يتنازل لصالح ابن آكلة الأكباد؟؟؟.

الإجابة نعم وبكل تأكيد مثلما هو مطلوب من كل الصلحاء والواعين والغيورين على مصالح المسلمين أن يتنحوا ويخلوا السبيل لمن كانوا على شاكلة ابن آكلة الأكباد والذين لا

يتورعون عن سفك دماء آلاف البشر بغير الحق ولا ولن تنطق عنهم الأبواق المأجورة بكلمة إدانة واحدة.

هل كان ابن عمر أتقى وأورع وأفضل بلاء في الإسلام من الإمام علي سبحان الله في أمة اختلت موازينها وهل كان ابن عمر من المهاجرين الأولين؟؟ الإجابة أن الرجل لا كان من الأولين ولا كان من المهاجرين ثم يصل التخبط إلى قمته فيقول لو كنت أعطيه أفضل قريش لأعطيته لعلي بن أبي طالب. إنه رجل تائه لأنه يرى أفضل قريش شرفا هو علي بن أبي طالب (وهو ما لا يمكن إنكاره) ويرى أيضا أن أولى الناس بهذا الأمر هم المهاجرون الأولون ومع هذا يأبى عليه بغضه للإمام أن يدافع عنه ولو بكلمة واحدة بينما هو مندوب الإمام في مواجهة خصومه. ثم ما هي سنة عمر بن الخطاب التي يريد الرجل إحياءها؟؟ وهل هناك سنة أخرى غير سنة رسول الله (ص)؟؟ الله وحده يعلم بما كان يريده أبو موسى.

رد عليه عمرو بن العاص (إن كنت تريد أن تبايع ابن عمر لدينه فما يمنعك من ابني عبد الله وأنت تعرف فضله وصلاحه فقال إن ابنك لرجل صدق ولكنك قد غمسته في هذه الفتنة).

ما زال الرجل مصمما على استخدام كلمة الفتنة وعلى أن الجميع كلهم مذنبون يستوي في ذلك الظالم والمظلوم إمام الحق والهدى وأئمة الضلال الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار.

إن موقف أبي موسى التائه ومن كانوا على شاكلته فضلا عن أنه لعب دورا رئيسيا في التمهيد لاغتيال الإمام عليه السلام باعتباره يحمل وزر سفك هذه الدماء البريئة فإنه كان في الحقيقة يصب لصالح معسكر الباطل الذي يتوسل بكل الوسائل لمناطحة الشرعية الحقيقية للأمة الإسلامية ولو كان المقابل لهذا هو الرضا بالإدانة المتبادلة.

هل كان الإمام علي (ع) ظالما أو تائها في قتاله للفئة الباغية كما يوحي بذلك أصحاب القلوب المريضة؟؟

الإجابة يعرفها الجميع وهي أن قتال الفئة الباغية قد شرعه ربنا عز وجل في كتابه الكريم (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) وهو ما أجمع عليه المسلمون قديما وحديثا ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما قرره الشيخ سيد سابق في كتابه فقه السنة من أن الإمام علي عليه السلام قاتل الفئة الباغية ص١١.

كان هذا اعتقاد كل من كانوا في معسكر الإمام بمن فيهم الذين صاروا خوارج فيما بعد.

فما هي الفتنة إذن التي يقصدها أبو موسى هل هي قتال المفسدين في الأرض بينما يقول ربنا عز وجل(و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وأي فتنة أعظم من تركهم يفسدون في الأرض. إن هذا المفهوم المبتكر للفتنة قد

جرى تأسيسه بعد هذا وإسباغ الشرعية عليه من خلال بعض النصوص التي جرى استحداثها خدمة لكل الديكتاتوريات القديمة والمعاصرة والتي توجب السمع والطاعة لغاصبي السلطة حتى لا تقع الأمة في محظور أشد من وجهة نظرهم وهو (الفتنة). لقد حاول معاوية بن أبي سفيان استخدام نفس المنطق في خطابه لأبي عبد الله الحسين حينما قال له (اتق الله ولا تردن هذه الأمة في فتنة) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢٠١/١ فكان رد الإمام عليه (إني لا أعلم فتنة أعظم من إمارتك لهذه الأمة).

و صدق الله العلي العظيم (و منهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين). التوبة.

إن أعظم فتنة ابتليت بها الأمة هي ترك مجاهدة الظالمين والفاسقين وتنظير هذا القعود باعتباره نوعا من التقوى والورع. ثم بدأت المهزلة تدخل مراحلها النهائية ،كان عمرو يقدم أبا موسى في الكلام ويقول إنك صحبت رسول الله صلى الله عليه وآله قبلي وأنت أكبر مني سنا فتكلم أنت ثم أتكلم أنا فجعل ذلك سنة وعادة بينهما وإنما كان مكرا وخديعة واغترارا له أن يقدمه فيبدأ بخلع علي ثم يرى رأيه قال ابن ديزيل في كتاب صفين (أعطاه عمرو صدر المجلس وكان لا يتكلم قبله وأعطاه

التقدم في الصلاة وفي الطعام لا يأكل حتى يأكل وإذا خاطبه فإنما يخاطبه بأجل الأسماء ويقول له يا صاحب رسول الله (ص) حتى اطمأن إليه وظن أنه لا يغشه (من هنا دخل إلى قاموس العربية مصطلح الضحك على الذقون).

قال نصر فلما تمخضت الزبدة بينهما قال له عمرو أخبرني ما رأيك يا أبا موسى قال له أرى أن أخلع هذين الرجلين (لاحظ أنه يتحدث بصيغة أنا !!! باعتباره مالكا ومتصرفا وليس حكما مهمته استخراج الأدلة) ونجعل الأمر شورى بين المسلمين يختارون لأنفسهم من شاؤا فقال عمرو الرأي والله ما رأيت فأقبلا إلى الناس وهم مجتمعون.

تكلم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن رأيي ورأي عمرو قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به شأن هذه الأمة فقال له عمرو صدق ثم قال له تقدم يا أبا موسى فتكلم فقام ليتكلم فدعاه ابن عباس ويحك والله إني لأظنه خدعك إن كنتما اتفقتما على أمر فقدمه قبلك ليتكلم بها ثم تكلم أنت بعده فإنه رجل غدار ولا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فيما بينك وبينه فإذا قمت في الناس خالفك وكان أبو موسى مغفلا (الكلام ليس من عندنا). فقال إيها عنك فإنا قد اتفقنا فتقدم أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنا قد نظرنا في

أمر هذه الأمة فلم نرى شيئا هو أصلح لشأنها ولا ألم لشعثها من أن لا تتباين أمورها وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي على خلع علي ومعاوية وأن تستقبل هذا الأمر فيكون شورى بين المسلمين يولون أمورها من أحبوا وإني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أموركم وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلا ثم تنحى.

فقام عمرو بن العاص في مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إن هذا قد قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة فإنه ولي عثمان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه.

فقال أبو موسى مالك لا وفقك الله قد غدرت وفجرت إنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث. فقال له عمرو إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفارا وحمل شريح بن هانيء على عمرو فقنعه بسوطه وحمل ابن عمرو على شريح فقنعه بالسوط وقام الناس فحجزوا بينهما. هكذا انتهت مهزلة التحكيم بهذا الفاصل من الردح الشرعي الفصيح.

إنها (مهزلة) باستخدام أكثر المفردات تهذيبا حتى لا نقع تحت مقصلة من يعتبر هؤلاء حملة الإسلام الصحيح وأن المساس بمقامهم الرفيع هو مساس بالدين الذي حمله هؤلاء

إلينا ولولا هذا لكنا من الضالين فإذا كان هؤلاء هم الذين حفظوا الدين فمن الذي أضاعه إذن؟؟ ومن الذي جعل المسلمين شيعا وأحزابا كلهم يدعي أنه وحده هو الذي يحمل الإسلام الصحيح؟؟؟.

نعود إلى النقل والتمس أصحاب علي عليه السلام أبا موسى فركب ناقته ولحق بمكة (جزاه الله خيرا) وترك الحريق ليأكل ما تبقى من جسد الأمة.

و رجع عمرو بن العاص (منتشيا بانتصاره على المسلمين !!!!!) وأرسل إلى معاوية بهذه الأبيات من الشعر:

أتتـــك الخلافـــة مزفوفـــة ... هنيئـــا مريئـــا تقـــر العيونـــا
تزف إليك زفاف العروس ... بأهون من طعنك الدارعينا
و ما الأشعري بصلد الزناد ... و لا خامل الذكر في الأشعرينا
و لكـــن أتيحـــت لـــه حيـــة ... يظـل الشـجاع لهـا مستكينا
فخذها ابن هند على بعدها ... فقـد دافـع الله مـا يحـذرونا

و قام كردوس بن هانيء مغضبا فقال:

رضـينا بحكـم الله لا حكـم غـيره
و بـــالله ربـــا والـــنبي وبالـــذكر
و بالأصـلع الهـادي علـي إمامنـا
رضينا بهذا الشيخ في العسر واليسر

رضـــينا بـــه حيـــا وميتـــا وانـــه
إمام هدى في الحكم والنهي والأمر
فمـــن قـــال لا قلنـــا بلـــى إن أمـــره
لأفضـــل مـــا نعطـــاه في ليلـــة القـــدر
و مـــا لابـــن هنـــد بيعـــة في رقابنـــا
و مـــا بيننـــا غـــير المثقفـــة الســـمر

هكذا انتهى التحكيم الذي كان من الممكن أن يكون مفخرة تاريخية للأمة الإسلامية تتعلم وتؤسس فيها فنون الحكم فإذا به ينتهي بهذه المهزلة وعاد أبو موسى إلى مقره (يعبد الله) ويقول قال رسول الله وينقل عنه أشباه البشر أحاديث وروايات عن رسول الله تحث الناس على التقوى والورع ويفتي في القملة والنملة ويحض الناس على الخضوع والخنوع لسلاطين الجور الذي أسهم هو نظيره ابن النابغة وابن آكلة الأكباد وحمقى الخوارج في تمهيد الأرض لمجيئهم ودوام سلطانهم وهو عند هؤلاء ممن حفظوا لنا الدين الصحيح بعد أن جر الأمة إلى فتنة كان يزعم أنه يريد أن ينقذ الناس منها وصدق الله العلي العظيم (و إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم

ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) النساء ٨٣.

و أولوا الأمر يومها كانوا علي بن أبي طالب لا أبي موسى ولا عمرو بن العاص (تلك أمة) كانت ولا زالت تقلب الموازين وتسلم الأمر إلى من لا يستحقه ثم تبكي على اللبن المسكوب وعلى التدخل الغربي والشرقي في شئون المسلمين ثم يطلع علينا خطباء المنابر الندابون يبكون حال الأمة وتكاثر الأكلة على قصعة الأمة (و كلهم إما أبي موسى أو عمرو بن العاص) وأحيانا تنتاب الخطيب حالة من التجلي فيحكي عن منعة الأمة سابقا (أيام أبي موسى وعمرو) ضد الاختراق الصهيوني وأن الغرب الصليبي لم ينجح في تحقيق أهدافه إلا بعد ظهور العلمانيين وخريجي مدارس الألسن والجامعة الأمريكية إلى آخر هذا الكلام الأبله المكرر والممل الذي لا يجيب على سؤال في غاية الأهمية والبساطة هو: كيف استطاع ابن آكلة الأكباد أن يحكم ويذل خير أمة أخرجت للناس بعد ثلاثين عاما من انتقال النبي الأعظم إلى الرفيق الأعلى؟؟؟

الإجابة هي: هذا التدين المنقوص الذي يسوي بين أئمة الضلال وأئمة الهدى التدين المنقوص الذي يرى في مقاومة الفساد والفاسدين فتنة ينبغي اجتنابها وأن القاتل والمقتول في

النار فيسوون بين علي بن أبي طالب (ع) وابن آكلة الأكباد ؛ التدين المنقوص أو المزيف الذي يجري الترويج له على قدم وساق بينما يوصف السائرون على نهج علي والحسين بأحط وأخس الصفات ويجري اعتبارهم أعداء للأمة التي يحرص هؤلاء الأتقياء للحفاظ على مصالحها وإبقائها في قبضة الأمويين الأقدمين أو الجدد.

ربما كانت الحقيقة مرة ولكن إخفاء الحقائق هو الدمار بعينه وهو الذي أفقد الأمة منعتها وجعلها فريسة سهلة لكل الطامعين من الصهاينة والصليبيين إنها أبدا لم تكن مشكلة قلة قيام الليل ولا عدم استخدام السواك ولا أن الأمة تحتاج إلى إعادة تربية على يد الجماعة الأم إنها كانت ولا زالت قضية ازدواجية المعايير التي تشكو الأمة الإسلامية من أن العالم يعاملها بها بينما هي تمارسها في أبشع صورها وفي كافة المجالات قراءة للتاريخ أو قراءة للواقع المعاصر الذي تراق فيه دماء المسلمين فيصمت أحفاد عمرو وأبي موسى إذا كان هؤلاء المسلمين من شيعة علي فيوم أن ارتكب هذا النظام الأموي البغيض المتسلط على أقدس الأماكن الإسلامية مجزرة لحجاج بيت الله الحرام وسفك دماء أكثر من أربعمائة مسلم في ساعة واحدة خرج علينا ذلك الشيخ الشهير من أحفاد عمرو وأبي موسى الذين يلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون

يدين القتلى ويثني على من سفك الدم الحرام في البلد الحرام في الشهر الحرام ثم هو بعد ذلك من أولياء الله الصالحين والدليل على أنه من أولياء الله الصالحين أنه قد نال جائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام (الأموي) قبل رحيله المبارك من دنياه العامرة إلى آخرته (ال...؟) وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إذن فالأمة الإسلامية تعاني منذ أمد بعيد من انفصام في شخصيتها وازدواج في القيم والمعايير وهي حالة يعبر عنها أفضل تعبير ذلك الحوار الفريد الذي جرى بين معاوية وسعد بن أبي وقاص: فقد روى ابن أبي الحديد عن أبي أحمد العسكري في كتاب الأمالي أن سعد بن أبي وقاص دخل على معاوية بن أبي سفيان بعد استيلائه على السلطة فلم يسلم عليه بإمرة المؤمنين فقال له معاوية لو شئت أن تقول في سلامك غير هذا لقلت فقال له سعد نحن المؤمنون ولم نؤمرك كأنك قد بهجت بما أنت فيه يا معاوية والله ما يسرني ما أنت فيه وأني هرقت محجمة دم قال ولكني وابن عمك عليا يا أبا إسحق قد هرقنا أكثر من محجمة ومحجمتين هلم فاجلس معي على السرير فجلس معه فذكر له معاوية اعتزاله للحرب يعاتبه !!! فقال سعد إنما مثلي ومثل الناس كقوم أصابتهم ظلمة فقال واحد منهم لبعيره أخ فأناخ حتى أضاء له الطريق فقال معاوية والله يا أبا

إسحق ما في كتب الله أخ (صدق ابن أبي سفيان وهو كذوب ما في كتاب الله أخ ولا نخ ولا أناخ).!!!

و إنما فيه وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فو الله ما قاتلت الباغية ولا المبغي عليها فأفحمه وزاد ابن ديزيل في هذا الخبر زيادة قال فقال سعد أتأمرني أن أقاتل رجلا قال له رسول الله (ص) أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فقال له معاوية من سمع هذا قال فلان وفلان وأم سلمة فقال معاوية لو كنت سمعته ما قاتلته.إنه نموذج من نماذج الحياد بين الحق والباطل وهو حياد فاسد لا يمكن تمريره أو قبوله لمجرد الادعاء بأنه كان يحمل رغبة في البعد عن الفتن وسفك الدماء فالرجل كان عالما بموقع الإمام الحقيقي في ساحة الصراع بين الحق والباطل وأنه كان من رسول الله بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعد رسول الله (ص) تماما كما كان معاوية عالما بوجوب قتال الفئة الباغية وأن ليس في كتاب الله اخ ولا نخ ولا أناخ ولا كل هذه التعلات والأعذار الواهية سوى أن القوم كرهوا واستثقلوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم مع إمام الحق علي بن أبي طالب عليه السلام بينما كانت الأمة في أمس الحاجة لقتال هؤلاء المفتونين مثلما قوتل من قبل سلفهم الكافرين.

التحكيم والحكومة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية وعمرو وأبي موسى:

كان ما حدث في دومة الجندل نموذجا لتطبيق الشريعة الإسلامية على يدي (الصحابيين الجليلين) عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وهو نموذج قابل للتكرار على يد أحفادهم من دعاة تطبيق الشريعة الإسلامية في آخر الزمان و(رحمة الله) على ذلك الشيخ الحفيد الذي سؤل ذات يوم (و أنا شاهد عيان) عن الطريق لتطبيق الشريعة الإسلامية فأجاب فض الله فوه قائلا (الانضمام لحزب الأحرار) ونحن نقول لمن يرفعون المصاحف على أسنة الرماح في أيامنا هذه من لم يكن منكم عمرو أو أبي موسى فليقل لنا ها أنا ذا وأنا أعتقد أن الكثير منكم (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) إما عمرو أو أبي موسى وهذه هي الكارثة ونحن لا نعترض والعياذ بالله على تطبيق الأحكام الإسلامية ولكن أبدا ليس على يد من كانوا على شاكلة الحكمين ويكفينا رأي كل واحد منهما في صاحبه.

ما بعد المهزلة مرحلة جديدة من الفتن والاضطراب

انتهت مهزلة التحكيم ووصل الخبر إلى أمير المؤمنين وهو بالكوفة فخطب الناس قائلا: الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدث الجليل وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ليس معه إله غيره وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله ؛ أما بعد فإن معصية الناصح الشفيق العالم المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري ونخلت لكم مخزون رأيي لو كان يطاع لقصير أمر فأبيتم على إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضن الزند بقدحه فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن:

أمـرتكم أمـري بمنعـرج اللـوى

فلم تستبينوا النصح إلا ضحى الغد

ألا إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم الكتاب وأحييا ما أمات واتبع كل منهما هواه وحكما بغير حجة ولا بينة ولا سنة ماضية واختلفا فيما حكما فكلاهما لم يرشدا لله فاستعدوا للجهد وتأهبوا للمسير وأصبحوا في معسكركم في يوم كذا.

نعم إن معصية العالم الناصح الشفيق المجرب تورث الحسرة وتعقب الندامة هذا حال الإمام.

أما حال الأمة: أبيتم علي إباء المخالفين الجفاة والمنابذين العصاة.

ثم يقال بعد هذا لماذا قبل الإمام التحكيم؟؟ إن الذين يسألون هذا السؤال إما جاهلون لم يطلعوا على شيء مما سردناه أو خبثاء يتجاهلون عن عمد جدلية العلاقة بين الأنبياء والمرسلين وأئمة الهدى والمصلحين من بعدهم وبين جماهير الدعوة أي الأمة التي حاول البعض أن يضعها في مقام يعلو هؤلاء الأئمة والمصلحين فها هو موسى عليه السلام يقول لقومه (ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) فيأتيه الجواب في صوت واحد (إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون). إنه إجماع الأمة على الباطل في مواجهة الحق فلا

يملك موسى علي السلام إلا أن يقول (إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين).

إن المهمة مهمة القيادة قد أصبحت أكثر تعقيدا بظهور الرسالة الإسلامية خاتمة الرسالات وبروز هذه المفاهيم المعقدة للسلطة والحاكمية الإلهية وهي كلها كانت تمهد لمراحل أكثر تعقيدا سيتحول فيها مفهوم الأمة والدولة من تلك المساحة المحدودة التي كانت تحتلها الدولة الإسلامية النواة التي أقامها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جزيرة العرب لتمتد بعد هذا في أرجاء العالم وصولا إلى الدولة في شكلها المعاصر ومن هنا كانت أهمية تدريب هؤلاء على مفهوم الدولة والحكم وإمكانية استمراره تحت إشراف تلك القيادة الربانية ولو لم يتم كل شيء بواسطة تلك القيادة المهم أن تلتزم تلك الأمة ومن يجري استخدامه للتحكيم نيابة عنها بتلك القواعد التي حاول الإمام عليه السلام أن يؤصلها ويدرب عليها هؤلاء لو كان يطاع لقصير أمر.

إذن فالتحكيم في حد ذاته لم يكن شرا محضا ولكنها كانت أمة لم ترتق بعد إلى هذا المستوى الذي يؤهلها لأن تحكم ومن ثم أن تحكم (بالضم) بما أنزل الله.

إذا كنت عاجزا أن تحكم بما أنزل الله فمن باب أولى أنت لا تستحق أن تحكم بما أنزل الله ومن يا ترى هو الذي سيحكمكم بكتاب الله أيها السادة هل سيتم ذلك عبر العمدة الآلي أو عبر الحاسب الإلكتروني لا شيء من هذا الهراء يمكن أن يقيم حكم الله ولكن الذي يقيم حكم الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه لا أولئك الذين يمنون على الله بإسلامهم وبتضحياتهم ولا أولئك المتلونون ألوانا من أدعياء الورع والتقوى ولا أولئك الخوارج الحمقى ولا أحد من سلالتهم المفتونين بعبادتهم المعجبين بحناجرهم المتطاولين على أمة لا إله إلا الله سبا وتحقيرا وتكفيرا كان بإمكان أبي موسى وعمرو بن العاص أن يحكما بما أنزل الله ولكنهما نبذا الكتاب واتبعا الشيطان فهل يستطيع أي ممن ذكرناهم أن يقوم بما عجز عنه هذا وذاك يمكن في حالة واحدة هي التجرد من الهوى ومن اتباع الشيطان ولكن هيهات هيهات فتلك أمة عشش الشيطان في نفوسها وباض وفرخ وأنتج ملايين من هذه الأصناف ومن أنواع أكثر تطورا وابتكارا وأكثر قدرة على الدعاية والغش والخداع وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(سيدنا عمرو بن العاص) (رض) يبيع دينه بدنياه:

لماذا نحمل على الصحابي الجليل فاتح مصر عمرو بن العاص أليس هذا من المحظور أن نمس صاحب تلك القداسة بالنقد؛ أولا فيكفيه ذلك الدور البشع في تمزيق الأمة والاستهزاء بكتاب الله ولكن الأبشع أن يكون كل ذلك بيعا وشراء لأمة أراد الله أن يكرمها ويرفع شأنها وشأن هؤلاء بالإسلام العظيم ولكنهم تصرفوا فيها تصرف النخاسين الذين يبيعون ويشترون من دون حتى علم المبيع ودونكم تلك الرواية التاريخية التي تظهر لنا خلفية المؤامرة الكبرى التي تعرضت لها الأمة الإسلامية من قبل هؤلاء (العظماء) الذين قدموا للإسلام تلك الخدمات الجليلة ثم عادوا وداسوها بأقدامهم. لماذا التحق عمرو بن العاص بخدمة البلاط الأموي... ﴿لما نزل الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة بعد فراغه من أمر معركة الجمل كتب إلى معاوية كتابا يدعوه إلى البيعة أرسله مع جرير بن عبد الله البجلي فقدم عليه الشام فقرأه فاغتم بما فيه وذهبت أفكاره كل مذهب وطاول جريرا بالجواب حتى كلم قوما من أهل الشام في الطلب بدم عثمان ووثقوا له وأحب الزيادة في الاستظهار فاستشار أخيه عتبة بن أبي سفيان فقال له استعن بعمرو بن

العاص فهو من علمت في دهائه ورأيه وقد اعتزل عثمان في حياته وهو لأمرك أشد اعتزالا إلا أن يثمن له دينه فسيبيعك فإنه صاحب دنيا (أول من أدخل اقتصاد السوق في كل شيء حتى في الاتجار بالدين هم بنو أمية والمسألة بيع وشراء وعرض وطلب تتحكم فيه قوى السوق واتفاقية الجات الأموية) فكتب معاوية إليه أما بعد فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة وقدم علينا جرير بن عبد الله البجلي في بيعة علي وقد حبست نفسي عليك فأقبل أذاكرك أمورا لا تعدم صلاح مغبتها إن شاء الله فلما قدم الكتاب استشار ابنيه عبد الله ومحمد فقال لهما ما تريان فقال عبد الله أرى أن رسول الله (ص) قبض وهو عنك راض والخليفتان من بعده وقتل عثمان وأنت عنه غائب فقر في بيتك فلست مجعولا خليفة ولا تزيد على أن تكون حاشية لمعاوية على دنيا قليلة أوشكتما أن تهلكا فتساويا في عقابها وقال محمد أرى أنك شيخ قريش وصاحب أمرها وإن تصرم هذا الأمر وأنت فيه غافل تصاغر أمرك فالحق بجماعة أهل الشام وكن يدا من أيديهما طالبا بدم عثمان فإنه سيقوم بذلك بنو أمية فقال عمرو أما أنت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني وأنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي وأنا ناظر ودعا عمرو غلامه وردان وكان داهيا ماردا فقال له ارحل يا وردان ثم قال

احطط يا وردان ثم قال ارحل يا وردان احطط يا وردان فقال له وردان خلطت أبا عبد الله أما إنك لو شئت أنبأتك بما في قلبك قال هات ويحك قال اعتركت الدنيا والآخرة عل قلبك فقلت علي معه الآخرة في غير دنيا ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض من الآخرة وأنت واقف بينهما قال قاتلك الله ما أخطأت ما في قلبي فما ترى يا وردان؟؟ قال أرى أن تقيم في بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت في عفوهم وإن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك قال الآن لما شهرت العرب سيري إلى معاوية فارتحل.

فسار حتى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده من نفسه وكايد كل واحد منهما صاحبه فقال له معاوية يوم دخل عليه أبا عبد الله طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها ورد ولا صدر قال وما ذاك قال منها أن محمد بن أبي حذيفة كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه وهو من آفات هذا الدين ومنها أن قيصر زحف بجماعة الروم ليغلب على الشام ومنها أن عليا نزل في الكوفة وتهيأ للمسير إلينا فقال عمرو وليس كل ما ذكرت عظيما أما ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلا يقتله أو يأتيك به وإن قاتل لم يضرك وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والفضة وسله الموادعة فإنه سريع إليها وأما علي فو الله يا معاوية ما يسوي

العربي بينك وبينه في شيء من الأشياء وإن له في الحرب لحظا ما هو لأحد من قريش وإنه لصاحب ما هو فيه إلا أن تظلمه. وروى نصر أيضا:أن معاوية قال لعمرو يا أبا عبد الله إني أدعوك لقتال هذا الرجل الذي عصى الله وشق عصا المسلمين وقتل الخليفة المظلوم وأظهر الفتنة وفرق الجماعة قال عمرو ومن هو قال علي قال والله يا معاوية ما أنت وعلي حملي بعير !! ليس لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه وو الله إن له مع ذلك لحظا في الحرب ليس لأحد غيره ولكني قد تعودت من الله إحسانا وبلاء جميلا فما تجعل لي إن شايعتك على حربه وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر قال حكمك فقال مصر طعمة... فتلكأ عليه معاوية ثم قال له يا أبا عبد الله إنك إنما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا قال عمرو دعني عنك (يعني لا تحدثني بمثل هذا الكلام الفارغ) فقال معاوية إني لو شئت أن أمنيك وأخدعك لفعلت قل عمرو لا لعمر الله ما مثلي يخدع لأنا أكيس من ذلك. ثم أنشأ يقول:

معاوى لا أعطيك ديني ولم أنل
بـه منـك دنيـا فـانظرن كيـف تصـنع
و مـا الـدين والـدنيا سـواء وإننـي
لآخـذ مـا تعطـي ورأسـي مقنـع

و لكـنني أغضـي الجفـون وإنـني
لأخـدع نفســي والمخــادع يخــدع
و أعطيـك أمـرا فيـه للملـك قـوة
و ألفـى بـه إن ذلـت النعـل أصـرع
و تمـنعني مصـرا وليسـت برغبـة
و إنـي بـذا الممنـوع قـدما لمولـع

فقال له معاوية أما تعلم أن مصرا مثل العراق قال بلى ولكنها إنما تكون لي إذا كانت لك وإنما تكون لك إذا غلبت عليا على العراق وكان أهل مصر قد بعثوا بطاعتهم إلى علي عليه السلام فلما حضر عتبة بن أبي سفيان فقال يا معاوية أما ترضى أن تشتري عمرا بمصر إن هي صفت لك ليتك لا تغلب على الشام.

استمرت المساومات بين التاجرين الكبيرين حول تقاسم الأسلاب والغنائم التي هي المسلمون وأرضهم فقد أصبحت هذه الأمة التي أنفت ولاية علي بن أبي طالب وأهل بيت العصمة والنبوة بدعوى أن هذا يمثل نوعا من الحكم الوراثي تراثا ونهبا يتقاسمه الطلقاء وأبناؤهم ومن كانوا حربا لله ولرسوله ولأهل بيت النبوة.

استمرت المساومات والمشاورات وأشار المستشارون الأمويون على معاوية بأن لا مانع من إعطاء مصر لعمرو بن العاص فهو ثمن يهون من أجل بقاء الملك لبني أمية.

فأرسل معاوية إليه فأعطاه مصرا فقال عمرو ولي عليك الله بذلك شاهد قال نعم لك الله علي بذلك إن فتح الله علينا الكوفة فقال عمرو والله على ما نقول وكيل فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه ما صنعت قال أعطانا مصر طعمة قالا وما مصر في ملك العرب قال لا أشبع الله بطنكما إن لم تشبعكما.

هؤلاء إذن من فهموا لا إله إلا الله حق فهمها كما يقول سيد قطب ومن خلعوا الأنداد والأضداد ولم يبق في نفوسهم مع الله إلها آخر !!!! وهؤلاء الذين كانوا يتلقون الأمر القرآني تلقي الجندي لأمر القتال هؤلاء الذين تربوا على النبع القرآني وحده لا غير وفارقوا جاهليتهم الخ الخ الخ فمن الذي وضع الأمة في القصعة الشهيرة إذن ومن الذي جعل الأمة ومصيرها وثرواتها على مائدة المساومات الحقيرة وجلسوا يتصرفون في الأمة تصرف التاجر في سلعته والآكل في وليمته فأين هو أثر الفلسفات الغربية واليونانية والاختراق الصهيوني والماسوني والهيمنة الأمريكية في هذا السلوك المشين.

فما كان من معاوية إلا أن أوفى ببيعه للشيطان ولمعاونه الأكبر (فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به!!!) وكتب لابن العاص كتابا يعطيه فيه مصرا وكتب فيه على أن لا ينقض شرط طاعة فكتب عمرو على أن لا تنقض طاعة شرطا فكايد كل واحد منهما صاحبه.

و غضب مروان وقال مالي لا أشترى فقال معاوية إنما يشترى الرجال لك فلما بلغ عليا عليه السلام ما صنع معاوية قال:

يـا عجبـا لقـد سمعـت منكـرا
كـذبا علـى الله يشـيب الشـعرا
يسـترق السـمع ويغشـي البصـر
مـا كـان يرضـي أحمـد لـو أخـبرا
كلاهمـا في جنـده قـد عسـكرا
قـد بـاع هـذا دينـه فـأفجرا
مـن ذا بـدنيا بيعـة قـد خسـرا
بملـك مصـر إن أصـاب الظفـرا
أنـى إذا المـوت لموت قـد حضـرا
شمـرت ثـوبي ودعـوت قنـبرا

هذه هي الصورة الحقيقية للبدايات الأولى للعصر الأموي. إنه يمثل انقلابا كاملا على كل القيم والمعايير الإسلامية والأخلاقية (قام به ذلك الجيل القرآني الفريد على رأي صاحبنا) وتحولا تاما نحو إعلاء القيم المادية والدنيوية في مواجهة القيم الدينية والأخروية والأخلاقية. (إنها الأمة المقصوعة) أي الموضوعة في القصعة يغترف البعض من خيراتها ويحرم أغلب المسلمين من أبسط حقوقهم وحكاية القصعة هذه هي الرواية المفضلة عند خطباء المنابر الندابون الذين لا هم لهم إلا الظهور بمظهر المدافع عن الإسلام ويستشهدون بالرواية المشهورة عن رسول الله (ص) (توشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها قيل أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله قال بل أنتم كثير ولكنكم كغثاء السيل).

إنهم يقرءون هذه الرواية دائما بصيغة المعاصرة باعتبار أن الماضي كله كان تمام التمام بينما الحقيقة المؤكدة أن الأمة كانت ولازالت مقصوعة أي موضوعة في القصعة يتقاسمها ويتآكلها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان ثم يطالب مروان بن الحكم بنصيبه من القصعة متسائلا مالي لا أشترى فيأتيه الجواب إنما يشترى الرجال لك!!! سوق حرة عرض وطلب أثمان تدفع وأمة تباع فلا عجب إذن أن يتم توارث تلك القصعة وتبادلها وتسليمها من ملك إلى ملك ومن رئيس

إلى رئيس فالقصعة هي رمز السلطة في عالمنا الإسلامي المنهوب على يد هؤلاء الأماجد الذين لا يكف مصلحونا عن الإشادة بهم والتسبيح بحمدهم وهو مسلك يشهد على أصحابه بأحد شيئين:

إما جهلهم وغبائهم المفجع وعجزهم عن القراءة والإدراك ومن ثم يقطع بأن لا مكان لهم على خارطة المصلحين.

و الثاني هو رضاهم القلبي عن تلك السلوكيات الفاسدة ومن ثم صاروا مثل هؤلاء سواء بسواء وصار المستغيث بهم كالمستغيث بعمرو والمستغيث بعمرو كالمستغيث من الرمضاء بالنار و(رضي الله عنهم أجمعين) هكذا انفض التحكيم وعاد كل طرف إلى عسكره ومعسكره.

المعسكر الأموي يفرح وينتشي بانتصاره الإعلامي الرخيص على أمة لا إله إلا الله.

بينما يجتر معسكر القيادة الشرعية كل جراحات الأمة ويستعد لمواجهة المزيد منها وأخطرها تلك الفتنة الوليدة فتنة الخوارج التي أطلت برأسها من بين أنقاض الخراب والتدمير المادي والمعنوي الذي تعرضت له الأمة الوليدة على يد (ذلك الجيل القرآني الفريد). لقد نجح المعسكر الأموي في إعادة الأمة

إلى جاهلية جديدة (و ليست كفرا) ظهرت أبرز ملامحها في ما عرضناه من مواقف وحوارات وأن يستولي على السلطة ليمارس هوايته المفضلة في الاستمتاع بإذلال المؤمنين الحقيقيين الذين والوا علي بن أبي طالب وقاتلوا في صفه بعدما حاربوا مع رسول الله (ص) نفس الكتيبة الأموية.

هذه هي الحقيقة المرة أن الجاهلية المعاصرة أو الانحراف عن جادة الصراط والحكم بالأهواء والتلاعب بكتاب الله وإباحة المحرمات ومطاردة المؤمنين الأتقياء من شيعة علي بن أبي طالب ولمزهم بأحط الصفات وتسليط الإعلام الأموي الفاجر وأجهزته وأزلامه من المتجرين بالدين على هؤلاء الصلحاء بل ونجاحه بعد هذا في تعميم انتصاره وإسباغ الشرعية عليه وتسميته بيوم الجماعة أولا ثم إضافة كلمة السنة لهذا العنوان السياسي تلك الجاهلية التي حكى عنها سيد قطب والإسلاميون من بعده كانت أمرا واقعا منذ تلك الأيام الخوالي وأن البشرية المنكوبة لم تستمتع بنعمة الرسالة المحمدية إلا أعواما قلائل عاد بعدها كل شيء إلى ما كان عليه وعاد المسلمون الرساليون مرة أخرى إلى خندق المعارضة والمواجهة هذه المرة في مواجهة ابن أبي سفيان الذي يحكم بعنوان الإسلام بعد أن كان أسلافه يحكمون بعنوان الكفر ويزعم أنه يطبق الشريعة الإسلامية أو يزعم وعاظ السلاطين أو فقهاء السوء

بالنيابة عنه ذلك بعدما كانوا في السابق في مواجهة أبي سفيان وأبي جهل الذين كانوا يرفعون راية اللات والعزى ومن هنا فالمواجهة أصبحت أكثر صعوبة من ذي قبل بل وتربت أجيال وأجيال من المسلمين على هذا التقديس والإجلال لأبي سفيان وأبي جهل وعقبة بن أبي معيط بعدما تمت أسلمتهم بإضافة كلمة ابن وهذا هو الفارق الأساس بين الجيلين وبعدما أصبح الإسلام الأموي الذي هو امتداد حقيقي للجاهلية الأموية هو الإسلام الصحيح الذي ينبغي إعادته إلى الساحة مرة أخرى ﴿أما إسلام علي فهو انحراف عقائدي وخروج عن وسطية الإسلام وعن السنة والجماعة﴾ وهذه هي الحقيقة رضي من رضي وسخط من سخط.

ما بعد التحكيم عودة إلى نقطة الصفر النظام الأموي يسعى لتمزيق ما تبقى من وحدة الأمة وبث الرعب في صفوفها: عاد الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة يستعد لبدء جولة جديدة من المواجهة مع المعسكر الأموي(ما كان أغنانا عنها) في الوقت الذي اتسعت فيه رقعة الخروق في ثوب الأمة الممزق بظهور الخوارج بينما كان المعسكر الأموي منتشيا بهذا النصر الزائف وبتلك الشرعية المنكوسة التي أفرزتها مهزلة التحكيم مما شجعه على استخدام أساليب أكثر بؤسا وانحطاطا من أجل إخضاع الأمة متمثلة في غارات العصابات الأموية على المسلمين

الأبرياء العزل وبث الذعر لدي أهل المناطق الموالية للإمام علي لإجبارهم على الدخول في طاعته اتقاء لشره لا فارق بينه وبين سفاح الصرب(ميلوسوفيتش) سوى أنه كان (كاتب الوحي وخال المؤمنين أو كما قال) مستفيدا من حالة الانكسار والتخاذل والرضا بالذل تلك الفتنة الحقيقية التي حرص أبو موسى ومن كانوا على شاكلته من القاعدين على ترسيخها وتحويلها إلى منهج ثابت في سلوك المسلمين إلى يومنا هذا وها نحن نجني ثمرة تلك الشجرة الخبيثة في فلسطين وغيرها بالأمس واليوم وغدا إلا أن يتغمدنا الله برحمته.

كان الإمام يحاول استنهاض الهمم بينما كان الشيطان الأموي يسعى بكل جهده إلى ترسيخ حالة الانكسار.

عاد الإمام إلى الكوفة عام ٣٧ للهجرة لتنفجر في وجهه كارثة الخوارج بينما كان ابن أبي سفيان يستثمر الفرصة التاريخية السانحة له لتمزيق ما تبقى من وحدة الأمة:

مصر هدف استرتيجي للعصابات الأموية قديما وحديثا:
تلك الهمة التي تحرك بها أبن أبي سفيان تجاه مصر تعني الكثير لنا ولمن يقرأ التاريخ لاستخلاص العبرة والعظة فمصر هي جوهرة التاج في منظومة العالم الإسلامي سواء كان مقسما كما هو الآن أو كان موحدا كما كان يومها مصر التي وصفها الإمام

في كلمات نادرة لم يرد على لسانه مثلها بالنسبة لبقاع أخرى (مصر أفضل من الشام- مصر خير أهلا- بقاء مصر في أيديكم عز لكم) كل هذا كلام ورد على لسان المعصوم عليه السلام ولا يختص بعصر دون عصر. مصر التي انتفض أهلها في مواجهة الظلم والجور وكان لأهلها الفضل الأكبر في إنهاء الدولة الأموية الأولى دولة ابن عفان مصر التي سكن حب أهل البيت في صميم فؤادها وكثيرا ما كان هذا الحب حبا واعيا بمقدار ما توفر لهذا الوعي من مادة المعرفة والمعلومات. من هنا كان التحرك الأموي السريع لخطف جوهرة التاج فضلا عن أنه يحمل رغبة ملحة للانتقام من قتلة الخليفة الثالثة إلا أنه يحمل رؤية استراتيجية توارثها من بعدهم كل المعادين لنهج الإمامة نهج الدين الحق الذين ينفقون الملايين سنويا لشراء ولاء أحفاد عمرو بن العاص ولضمان حرف مصر عن مساندة المنهج القويم بينما يقف حملة الحق ومن يقترض منهم الدفاع عنه من تلك المسألة موقفا أدنى ما يوصف به أنه هو موقف التيه والحيرة .

بدأ ابن أبي سفيان في مهاجمة مصر عام ٣٨ للهجرة وكانت مصر في ولاية محمد بن أبي بكر وكانت أمورها آخذة في الاضطراب تحت ولايته فأرسل الإمام مالك الأشتر مكانه وأتت معاوية عيونه بهذا الخبر فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشد عليه

من محمد بن أبي بكر فبعث معاوية إلى الجايستار (رجل من أهل الخراج) فقال له إن الأشتر قد ولي مصر فإن أنت كفيتنيه لم آخذ منك خراجا فاحتل له بما قدرت عليه فخرج الجايستار حتى أتى القلزم وأقام به وخرج الأشتر من العراق إلى مصر فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار فقال هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج فنزل به الأشتر فأتاه الدهقان بعلف وطعام حتى إذا طعم أتاه بشربة من عسل قد جعل فيها سما فسقاه إياه فلما شربها مات وأقبل معاوية يقول لأهل الشام إن عليا وجه الأشتر إلى مصر فادعوا الله أن يكفيكموه قال فكانوا كل يوم يدعون على الأشتر وأقبل الذي سقاه إلى معاوية فأخبره بمهلك الأشتر فقام معاوية في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال أما بعد فإنه كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفين يعني عمار بن ياسر وقطعت الأخرى اليوم يعني الأشتر.

فلما هلك الأشتر وجد في ثقله رسالة علي إلى أهل مصر:

بسم الله الرحمن الرحيم: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي في الأرض وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر فلا حق

يستراح إليه ولا منكر يتناهى عنه سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو أما بعد فقد بعثت إليكم عبدا من عبيد الله لا ينام أيام الخوف ولا ينكل عن الأعادي حذار الدوائر أشد على الكفار من حريق النار وهو مالك بن الحارث أخو مذحج فاسمعوا له وأطيعوا فإنه سيف من سيوف الله لا نابي الضريبة ولا كليل الحد فإن أمركم أن تقدموا فاقدموا وإن أمركم أن تنفروا فانفروا فإنه لا يقدم ولا يحجم إلا بأمري وقد آثرتكم به على نفسي لنصحه لكم وشدة شكيمته على عدوكم عصمكم الله بالهدى وثبتكم على اليقين. والسلام.

تاريخ الطبري ج٥ ص ٩٥-٩٦.

كما روى أيضا عن أبي مخنف أن أهل الشام لما انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما يأتي به الحكمان فلما انصرفا وتفرقا بايع أهل الشام معاوية بالخلافة ولم يزدد إلا قوة واختلف الناس بالعراق على علي فما كان لمعاوية هما إلا مصر وكان معاوية يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب علي (ع) لعظم خراجها فدعا معاوية (أركان حربه): عمرو بن العاص وحبيب بن مسلمة وبسر بن أبي أرطأة والضحاك بن قيس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فاستشارهم فأشار عليه عمرو بن العاص بتسيير جيش إلى مصر لفتحها.

فأرسل إليها جيشا بقيادة (الفاتح العظيم) عمرو بن العاص ونجحوا في دحر جيش الدولة الإسلامية بقيادة محمد بن أبي بكر ثم أسروه واقتادوه إلى قائد الكتيبة الأموية معاوية بن أبي خديج فقال له أتدري ما أصنع بك أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار فقال له محمد إن فعلتم بي ذلك فطالما فعلتم بأولياء الله وإني لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله علي بردا وسلاما كما جعلها على خليله ابراهيم وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمروز وأوليائه إن الله يحرقك ومن ذكرته قبل وإمامك يعني معاوية بن أبي سفيان وهذا وأشار إلى عمرو بن العاص بنار تلظى عليكم كلما خبت زادها الله سعيرا قال له معاوية إني إنما أقتلك بعثمان قال له محمد وما أنت وعثمان إن عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن وقد قال الله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) فنقمنا عليه ذلك فقتلناه وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك فقد برأنا الله من ذنبه وجاعلك على مثاله قال فغضب معاوية بن خديج فقدمه فقتله ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار فلما بلغ ذلك عائشة جزعت عليه جزعا شديدا وقنتت عليه في دبر الصلاة تدعو على معاوية وعمرو ثم قبضت عيال محمد إليه.

تاريخ الطبري ج٥ ص ١٠٤.

في هذه الأثناء كانت الاستغاثات المتوالية تصل إلى الإمام علي من محمد بن أبي بكر فقام علي عليه السلام في الناس فنودي الصلاة جامعة فاجتمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله ثم قال: أما بعد فإن هذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر وقد سار إليهم ابن النابغة عدو الله(الكلام ليس من عندنا) وولي من عادى الله فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم والركون في سبيل الطاغوت أشد اجتماعا منكم على حقكم هذا فإنهم قد بدءوكم وإخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساة والنصر عباد الله إن مصر أعظم من الشام وأكثر خيرا وخير أهلا فلا تغلبوا على مصر فإن بقاء مصر في أيديكم عز لكم وكبت لعدوكم أخرجوا إلى الجرعة بين الحيرة والكوفة فوافوني بها هناك غدا إن شاء الله قال فلما كان من الغد خرج يمشي فنزلها بكرة فأقام بها حتى انتصف النهار يومه ذلك فلم يوافه منهم رجل واحد.)أين أسود الشرى الذين كانوا يقولون بالأمس إنا نخاف أن يورث هذا التحكيم ذلا فمرنا بما شئت من أمرك؟؟؟ هذه الأمة صارت كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا).

فرجع فلما كان من العشي بعث إلى أشراف الناس فدخلوا عليه القصر وهو حزين كئيب فقال الحمد لله على ما

قضى من أمري وقدر من فعلي وابتلاني بكم أيتها الفرقة ممن لا يطيع إذا أمرت ولا يجيب إذا دعوت لا أبا لغيركم ما تنتظرون بصبركم والجهاد على حقكم؟؟ الموت والذل لكم في هذه الدنيا على غير الحق فو الله لئن جاء الموت وليأتين ليفرقن بيني وبينكم وأنا لصحبتكم قال وبكم غير ضنين لله أنتم !! لا دين يجمعكم ولا حمية تحميكم إذا أنتم سمعتم بعدوكم يرد بلادكم ويشن الغارة عليكم أو ليس عجبا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة ويجيبونه في السنة المرتين والثلاث إلى أي وجه شاء وأنا أدعوكم وأنتم أولوا النهى وبقية الناس على المعونة وطائفة منكم على العطاء فتقومون عني وتعصونني وتختلفون فقام إليه مالك بن كعب الهمداني فقال يا أمير المؤمنين أندب الناس فإنه لا عطر بعد عرس لمثل هذا اليوم كنت أدخر نفسي والأجر لا يأتي إلا بالكره. اتقوا الله وأجيبوا إمامكم وانصروا دعوته وقاتلوا عدوه أنا أسير إليها يا أمير المؤمنين. قال فأمر علي مناديه فنادى في الناس ألا انتدبوا إلى مصر مع مالك بن كعب ثم إنه خرج وخرج معه علي فنظر فإذا جميع من خرج ألفي رجل فقال له سر فو الله ما أخالك تدرك القوم حتى ينقضي أمرهم فخرج بهم فسار خمسا وسرعان ما وردت الأخبار باستشهاد محمد بن أبي بكر فأرسل الإمام علي (ع) إلى مالك من رده من الطريق وحزن علي على محمد بن

أبي بكر حتى رئي ذلك في وجهه وتبين فيه وقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وصلى عل رسول الله(ص) وقال: ألا إن مصر قد افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوجا ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحتسبه أما والله إن كان ما علمت لممن ينتظر القضاء ويعمل للجزاء ويبغض شكل الفاجر ويحب هدى المؤمن إني والله ما ألوم نفسي على التقصير وإني لمقاساة الحرب لجد خبير وإني لأقدم على الأمر وأعرف وجه الحزم وأقوم فيكم بالرأي المصيب فأستصرخكم معلنا وأناديكم نداء المستغيث معربا فلا تسمعون لي قولا ولا تطيعون لي أمرا حتى تصير بي الأمور إلى عواقب المساءة فأنتم القوم لا يدرك الثأر ولا تنقضي بكم الأوتار دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ١ بضع وخمسين ليلة فتجرجرتم جرجرة الجمل الأشدق وتثاقلتم إلى الأرض تثاقل من ليس له نية في جهاد العدو ولا اكتساب الأجر ثم خرج إلي منك جنيد متذانب كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون فأف لكم ثم نزل.

و كتب إلى عبد الله بن عباس وهو بالبصرة: بسم الله الرحمن الرحيم. من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عبد الله بن عباس. سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن مصر قد افتتحت ومحمد بن أبي بكر قد استشهد

فعند الله نحتسبه وندخره وقد كنت قمت في الناس في بدئه وأمرتهم بغياثه قبل الوقعة ودعوتهم سرا وجهارا وعودا وبدءا فمنهم من أتى كارها ومنهم من اعتل كاذبا ومنهم القاعد حالا أسأل الله أن يجعل لي منهم فرجا ومخرجا وأن يريحني منهم عاجلا والله لولا طمعي عند لقاء عدوي في الشهادة لأحببت أن لا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا عزم الله لنا ولك على الرشد وعلى تقواه وهداه إنه على كل شيء قدير والسلام.

تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٧-١٠٨

متى سقطت الخلافة الإسلامية الحقيقية:

لا يحتاج هذا النقل ولا الذي قبله إلى تعليق فالصورة الحقيقية واضحة تلك البهمة والدأب التي يعمل بها أولياء الشيطان للاستيلاء على مقادير الأمة بصورة كاملة. وذلك التخاذل المتعاون الذي يعمل به الطرف المقابل المفترض فيه أن يدافع عن الحق وأن يواصل مسيره فلا يكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا.

نحن أمام موقف فريد لم يعد للحق فيه أنصار يدافعون عنه إنها فتنة من نوع غريب صنعتها عوامل عدة لا يجدي أمامها

إلا العودة إلى كتاب الله وقراءة النصوص التي تتحدث عن تخاذل البعض عن الجهاد في سبيل الله تنفيذا لقوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) سورة التوبة آية ١١١.

ما هو الفارق بين الأمويين الأول والأمويين الأخر؟؟ ما هو الفارق بين من حاربوا رسول الله (ص) ومن حاربوا علي بن أبي طالب؟؟ لا فارق بينهما فالفريقين شيء واحد وهما يشكلان نفس الامتداد العضوي والفارق الوحيد هو تبني الجيل الأموي الثاني للشعارات والأشكال الإسلامية التي تسهل عليهم عملية الخداع والتمويه.

لقد نجح الجيل الأموي الثاني في القضاء على الدولة الإسلامية التي أقامها رسول الله (ص) وورث مهمة الحفاظ عليها علي بن أبي طالب سلام الله عليه وأقاموا دولة أموية اعتقدها العامة والبسطاء دولة إسلامية والحقيقة أنها ليست من الإسلام في شيء. لقد استفاد هؤلاء الجبابرة من هذه التغطية الإسلامية ولم يحاولوا نزع غطاء كان ينبغي نزعه عنهم منذ اللحظات الأولى لظهورهم على الساحة ولكن ما هي الحيلة

والأمة مازالت ملأى بأبي موسى وعمرو بن العاص ومن على شاكلتهم إلى يومنا هذا أولئك الذين لا وظيفة لهم إلا تمييع الحقائق وإعطاء الظالمين مهلة وراء مهلة والأمة تلفظ أنفاسها وتخسر طاقاتها ليبقى الحال على ما هو عليه بل لتزداد الأحوال سوءا وتكرس الحالة (القصعوية) نسبة للقصعة إياها ويستمر هؤلاء وغيرهم في القيام بأدوارهم ويبقى مصير الأمة في يد أولئك النفر : القتلة والحانوتية والندابون ولا عزاء للأمة في مصيبتها الممتدة منذ أربعة عشر قرنا.

هذا الوضع المخادع الذي تحكم فيه الأمة باسم الإسلام في إطار ما سمي بالخلافة الإسلامية كان بالنسبة للبعض وضعا مثاليا ينبغي الحفاظ عليه والتضحية من أجله إلى أن انتهى هذا الوضع بسقوط الخلافة العثمانية وآخر هؤلاء الخلفاء كان السلطان عبد الحميد لتسقط مع سقوطه تلك الغلالة الرقيقة التي حافظت على الأشكال مجرد الأشكال للوحدة الإسلامية الظاهرية وللعناوين الإسلامية ولكن تبقى الحقيقة أن كل المضامين قد سقطت بسقوط دولة الإمام علي عليه السلام حيث انتهت يومها دولة الإسلام وبقيت دولة المسلمين والبون شاسع بين الأمرين.

دولة الإسلام يكون كل شيء فيها تابعا لحكم الله.

أما دولة المسلمين فهي تلك الدولة التي يقطنها المسلمون وربما كان ذلك أهون من أن تكون دولة الكافرين ولكن يبقى العبء الملقى على عاتق المسلمين الرساليين في إعادة دولة الإسلام لا دولة المسلمين.

نعود مرة أخرى إلى مسار الأحداث لنزداد معرفة واطلاعا على سلوكيات الدولة الأموية في مواجهة الأمة.

الدولة الأموية تطبق الشريعة الإسلامية؟!

بعض نماذج من الفجور الأموي

يروي ابن جرير الطبري قال في سنة ٣٩ هجرية وجه معاوية بن أبي سفيان (كاتب الوحي وخال المؤمنين) سفيان بن عوف في ستة آلاف رجل وأمره أن يأتي هيت فيقطعها وأن يغير عليها ثم يمضي حتى يأتي الأنبار والمدائن فيوقع بأهلها فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحدا ثم أتى الأنبار وبها مسلحة لعلي تكون خمسمائة رجل وقد تفرقوا ولم يبق منهم إلا مائة رجل فقاتلهم فصبر لهم أصحاب علي مع قلتهم ثم حملت عليهم الخيل والرجالة فقتلوا صاحب المسلحة وهو أشرس بن حسان البكري في ثلاثين رجلا واحتملوا ما كان في الأنبار من أموال أهلها ورجعوا إلى معاوية وبلغ الخبر عليا فخرج حتى أتى النخيلة فقال له الناس نحن نكفيك قال ما تكفوني ولا

أنفسكم وسرح سعيد بن قيس في أثر القوم فخرج في طلبهم حتى جاز هيت فلم يلحقهم فرجع.

قال وفيه(عام ٣٩) وجه معاوية عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء وأمره أن يصدق (أي يأخذ الصدقات) ممن مر به من أهل البوادي وأن يقتل من امتنع من إعطائه صدقة ماله ثم يأتي مكة والمدينة والحجاز ليفعل نفس الشيء واجتمع إليه نفر كثير من قومه فلما بلغ ذلك عليا وجه المسيب بن نجبة الفزاري فسار حتى لحق ابن مسعدة بتيماء فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس قتالا شديدا وحمل المسيب على ابن مسعدة فضربه كل ذلك لا يلتمس قتله ويقول له النجاء النجاء فدخل ابن مسعدة وعامة من معه الحصن وهرب الباقون نحو الشام وانتهب الأعراب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة وحصره المسيب ومن كان معه ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب على الباب وألقى النيران فيه حتى احترق فلما أحسوا بالهلاك أشرفوا على المسيب فقالوا يا مسيب قومك فرق لهم وكره هلاكهم فأمر بالنار فأطفئت وقال لأصحابه قد جاءتني عيون فأخبروني أن جندا قد جاءوا من الشام فانضموا في مكان واحد فخرج ابن مسعدة في أصحابه ليلا حتى لحقوا بالشام فقال له عبد الرحمن بن شبيب سر بنا في طلبهم فأبى ذلك عليه فقال له غششت أمير المؤمنين وداهنت في أمرهم.

و في نفس العام أيضا وجه معاوية الضحاك بن قيس وأمره أن يمر بأسفل واقصة وأن يغير على كل من مر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب ووجه معه ثلاثة آلاف رجل فسار فأخذ أموال الناس وقتل من لقي من الأعراب ومر بالثعلبة فأغار على مسالح علي وأخذ أمتعتهم ومضى حتى انتهى إلى القطقطانة فأتى عمرو بن عميس بن مسعود وكان في خيل لعلي وأمامه أهله وهو يريد الحج فأغار على من كان معه وحبسه عن المسير فلما بلغ ذلك عليا سرح حجر بن عدي الكندي في أربعة آلاف فلحق بالضحاك بتدمر فقتل منهم تسعة عشر رجلا وحال بينهم الليل فهرب الضحاك وأصحابه ورجع حجر ومن معه.

ثم دخلت سنة أربعين فأرسل معاوية بن أبي سفيان (كاتب الوحي وخال المؤمنين) بسر بن أبي أرطأة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز فقدم المدينة وعامل علي على المدينة أبو أيوب الأنصاري ففر منهم أبو أيوب فأتى عليا بالكوفة ودخل بسر إلى المدينة قال فصعد منبرها ولم يقاتله أحد فنادى على المنبر يا دينار ويا نجار ويا زريق شيخي شيخي عهدي به بالأمس فأين هو يعني عثمان ثم قال يا أهل المدينة والله لولا ما عهد إلى معاوية ما تركت بها محتلما إلا قتلته ثم بايع أهل المدينة وأرسل إلى بني سلمة فقال والله ما لكم عندي من أمان ولا مبايعة حتى تأتوني بجابر بن عبد الله فانطلق جابر إلى أم سلمة

زوج النبي (ص) فقال لها ما ترين إني خشيت أن أقتل وهذه بيعة ضلالة قالت أرى أن تبايع فإني أمرت ابني عمر بن أبي سلمة أن يبايع فأتاه جابر فبايعه وهدم بسر دورا بالمدينة (مثل الاحتلال الإسرائيلي) ثم مضى حتى أتى مكة فخافه أبو موسى أن يقتله فقال له بسر ما كنت لأفعل بصاحب رسول الله (ص) ذلك فخلى عنه.

و كتب أبو موسى قبل ذلك إلى اليمن أن خيلا مبعوثة من عند معاوية تقتل الناس تقتل من أبى أن يقر بالحكومة ثم مضى بسر إلى اليمن وكان عليها عبيد الله بن عباس عاملا لعلي فلما بلغه مسيره فر إلى الكوفة حتى أتى عليا واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي على الكوفة فقتله وقتل ابنه ولقي بسر ثقل عبيد الله بن عباس وفيه ابنان له صغيران فذبحهما. تاريخ الطبري ج٥ ص ١٣٤-١٣٥-١٣٩

هذه بعض نماذج من السلوك الأموي المشين الذي أوصل هؤلاء الأوغاد إلى قمة العالم الإسلامي والإمساك بتلابيب أمة كان يمكن لها أن تكون خير أمة أخرجت للناس لو أنها استمسكت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونصرت المظلوم في وجه الظالم ولكنها لم تعرف المعروف بل أنكرته وعرفت المنكر وتعلقت بأهدابه وبررته وتخاذلت عن نصرة

المظلوم بل ونصرت الظالم ولا زالت تنصره وتعلي من شأنه وتزعم أنه أهدى من الذين آمنوا سبيلا فلا عجب أن يكون هذا مصيرها ومكانها بين الأمم فهي تحتل ذيل القائمة بجدارة واستحقاق ولا نرى ثمة أمل لتغيير حقيقي طالما بقيت رؤيتها التاريخية والفقهية محكومة بتلك الازدواجية الأخلاقية الشاذة وطالما بقي قادة الرأي والمصلحين فيها يثنون صباح مساء على من ألقى بهم في مهاوي التخلف والفساد ومن ثم إلى مزابل التاريخ فإذا أحس هؤلاء بالحرج وعدم القدرة على الرد ومواصلة الحوار قالوا لك تلك أمة قد خلت وما هو مبرر فتح تلك الملفات ولماذا نتوقف عند الماضي وما هي الفائدة التي تعود علينا من التنازع حول تلك القضايا التاريخية ولن نحاول التأكيد على أهمية قراءة التاريخ فهم بذلك من العالمين وإذا خلا بعضهم إلى بعض وأطمأنوا لعدم وجود صاحب رأي مخالف تحدثوا مطولا عن أهمية دراسة التاريخ (وفقا للرؤية الكهنوتية المعتمدة) ونود أن ننبه الناس أجمعين أن الأمم الحية لا تنسى ولا تستغفل وأن الجرائم السياسية والأخلاقية الكبرى لا تسقط بالتقادم وإلا فلا معنى على الإطلاق ليوم العرض والحساب ولا للثواب والعقاب إذا كان الأمر سيقتصر على معاقبة سكير صغير شرب بضع كئووس من الخمر أو ما شابه ذلك وما معنى أن يذهب المسلمون إلى موقف العرض وهم بلا موقف تأييد أو

إدانة لحق أو لباطل (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكان وأضل عن سواء السبيل المائدة آية ٦٠ إنه قانون السماء بلا وساطة ولا مجاملات وإذا كان بعض الأدعياء يتبجح بقوله صلى الله عليه وسلم (يا فاطمة بنت محمد اعملي فإني لا أغني عنك من الله شيئا) فمن باب أولى أن يرد القول إلى أولئك الذين باعدت بينهم وبين رسول الله (ص) أعمالهم وأنسابهم.

لا بأس أن ننقل هنا شهادة على هذا العصر من الحسن البصري وهي شهادة لا بأس بتسجيلها رغم أنها لا تضيف كثيرا إلى ما ذكرناه { أربع خصال كن في معاوية بن أبي سفيان لو لم يكن فيه إلا واحدة منهن لكانت موبقة◆ انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيه بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. ◆واستخلافه ابنه يزيد سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب الطنابير ◆وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله (ص) الولد للفراش وللعاهر الحجر. ◆ وقتله حجر بن عدي وأصحابه فيا ويله من حجر وأصحاب حجر. كل هذا الكلام ليس فيه جديد والسؤال المهم... هل تم تصحيح هذا الوضع فيما بعد أم أن الحال بقي على ما هو عليه وتحول بعد هذا إلى وضع قانوني باركه وعاظ السلاطين الذين اجتهدوا

وأضافوا إلى ذلك الإجرام المفروض على الأرض بقوة السلاح كما يقر الحسن البصري ذلك الغش والخداع والتدليس وعشرات الروايات (المضروبة) بلغة السوق المعاصرة لتبرير هذا القمع والجور وتسهيل مهمة اغتصاب إرادة الأمة بشرعية كانت ولا زالت هي لغة السلاح؟

و السؤال الآخر موجه لتلك الحركات الإسلامية التي لا تمل من تكرار ادعاءاتها بأستاذية المسلمين.. من أين تبدءون تأريخ حركتكم؟؟أعني ما هي نقطة البدء التي أوجبت عليكم التحرك لاستنهاض همم المسلمين وإخراجهم من القصعة إياها إنهم يقولون أن هذا كان بعد سقوط الخلافية العثمانية ومعنى هذا أن كل شيء قبل هذا التاريخ كان على ما يرام فإن قالوا هذا وهم لا يستطيعون أن يقولوا عكس هذا فقد وجب عليهم الخروج من تلك الدائرة الأموية التي كانوا وما زالوا يعيشون فيها.

المسألة الأخرى المرتبطة بهذه الموضوع تتعلق بالأسباب والدوافع التي جعلت الأمة تقف موقف المتفرج بينما تسرق إرادتها وكرامتها وكل ما يمت إلى دينها بصلة. كيف تركت الأمة ابن آكلة الأكباد الذي اعتدى على حرمتها وكرامتها يقتل الأطفال ويرسل العصابات الصربية المتجردة من كل اعتبار

ضميري تسلب وتنهب ثم تفلت من دون عقاب ويقف إمام الأمة مستصرخا ضميرها لمواجهة هذا العدوان الوقح فلا يستجيب له أحد إلا بعد أكثر من خمسين يوما.

هل أن الأمة كانت يومها لم تفهم لا إله إلا الله؟؟ لا أظن.

هل كان إمام الباطل أهدى من إمام الحق سبيلا وأحسن تدبيرا وأكثر إقامة للعدل؟؟ الكل يعلم أن الحقيقة كانت عكس ذلك.

هل كان الأمر نقص في التربية أدركه هؤلاء الجهابذة على طريقة إني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم يأت به الأوائل؟؟. أيضا الإجابة معروفة أن أولئك الأواخر يعتمدون في بنائهم على هؤلاء الأوائل بخيرهم وشرهم.

الخلاصة أن مرض الأمة قديم ولن يشفيه تلك الشعارات المرتجلة الضخمة الفخمة التي يرددها أولئك المنتفخون والمتورمون زهوا؛ وأنه لا بد من مراجعة ذاتنا وتاريخنا مهما كانت قسوة ومرارة مراجعة الذات ليعرف الناس لماذا تخلى المسلمون عن أعظم إمام بعد رسول الله (ص) مثلما تخلى المسلمون الأوائل عن رسول الله (ص) يوم أحد ثم تركوه

بعد ذلك قائما على منبره في صلاة الجمعة {و إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما} سورة الجمعة.

إنها بشرية تعيسة وحقيرة لا تستحق أفضل مما هي فيه وربما كان ما نحن فيه أفضل بكثير مما نستحق.

هل كان التحكيم خطأ أم خطيئة:

كانت وزالت مسألة التحكيم من (نقاط الضعف) المفضلة عند خصوم أهل البيت وخصوم الإمام علي عليه السلام متجرئين بجهلهم ومعتمدين على ضعف حصيلة خصومهم فإذا كان الإمام منصوبا من عند الله فلماذا قبل أن يضع إمامته في كفة مقابلة مع ابن آكلة الأكباد وإذا كان إماما معصوما فكيف أخطأ أو أكره على قبول التحكيم وكلها أوهام ناشئة من جهل مدقع بحقائق الإسلام والتاريخ وبأطروحة الإمامة.

ناهيك عن الجدل العنيف الذي أشعله الخوارج بإصرارهم على قبول التحكيم ثم رجوعهم عن هذا القبول وطلبهم من الإمام العودة فورا إلى القتال ثم اعتبارهم هذا

القبول ذنبا عظيما سرعان ما تحول إلى كفر باللغ العظيم وتكفير للإمام علي عليه السلام ثم لعموم أمة لا إله إلاالله.

شرحنا فيما سبق الأسباب التي فرضت قبول التحكيم والظروف السياسية والنفسية والفكرية التي أحاطت بالأمة كلها وبمعسكر الإمام علي عليه السلام ومحاولاته تعليم الأمة فن الحكم وأصول الحكومة الإسلامية والمواصفات الواجب توافرها فيمن يتصدى للحكم والحكومة.

نعود إلى حوارات الإمام علي عليه السلام مع معارضيه من الخوارج ونحن هنا نستخدم كلمة معارضة (بالمصطلح السياسي والحزبي) فهذه المجموعة من البشر برغم كل شيء شكلت في هذا الوقت حزبا سياسيا فكريا يتجمع حول موقف سياسي فكري خاطئ المهم أن أسلوب الإمام في التعامل معهم شكل القاعدة الأخلاقية والشرعية للتعامل مع الاختلافات أو حتى الاختلالات الفكرية والسياسية وقد لخص الإمام عليه السلام تلك القواعد فيما يلي:

إن سكتوا عممناهم
و إن تكلموا حججناهم
و إن خرجوا قاتلناهم.

ثم أعادها عليه السلام في صيغة أخرى (إن لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم في أيدينا ولا تقاتلكم حتى تبدؤنا).

فالفكر لا يواجه إلا بالفكر سواء كان الفكر صحيحا أو منحرفا الفكر لا يغيره الاضطهاد ولا السجون ولا المعتقلات ولا أحكام الإعدام.

بل العكس تماما هو الصحيح .

ونظرة واحدة على المشروع القطبي نسبة لسيد قطب تثبت صحة هذا القول فهذا المشروع الفكري المتهافت الذي انتقده حتى أقرب الناس إلى المشروع الفكري للجماعة إياها قد تحول إلى أسطورة فكرية ومسلمة لا يجوز المساس بها لمجرد أن الزعيم الخالد قد أنعم عليه بلقب الشهيد سيد قطب وتاهت الأمة بين الزعيم الخالد والإمام الشهيد والشهيد سيد قطب أبقاهم الله جميعا ذخرا للإسلام والمسلمين ويكفي هؤلاء السادة فخرا أن النسخة الموجودة عندي من كتابه معالم في الطريق التي هي معالم التيه والتخبط هي نسخة ضوئية من الطبعة الثالثة عشر فهنيئا للبلهاء.

لقد وضع حكيم الأمة علي بن أبي طالب عليه السلام قانون التعامل مع المخالفين في الرأي إن سكتوا عممناهم أي صاروا جزءا من الأمة سواء بسواء وإن تكلموا حججناهم أي جابهناهم الفكر بالفكر والحجة بالحجة والقول بالقول و إن خرجوا وقاتلوا وأفسدوا في الأرض قاتلناهم.

هذا هو قانون العدل والتوازن الكوني وصدق الله العلي العظيم (والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) فهذا الطغيان في الميزان والجبروت في التصرف يسبب خللا كونيا لا يقف أثره عند موضوع النزاع بل يمتد طولا وعرضا حاضرا ومستقبلا. جاء الخوارج يحملون عقولهم وقلوبهم المريضة يجادلون الإمام علي عليه السلام فهم قد أعلنوا أن التحكيم ذنب ومعصية فجاء رد الإمام علي عليه السلام (إني كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم علي ثم الآن تجعلونها ذنبا أما إنها ليست بمعصية ولكنها عجز من الرأي وضعف في التدبير وقد نهيتكم عنه) تاريخ الطبري.

إنها مقولة بالغة الأهمية ينبغي التأمل فيها طويلا لأنها تصدر من (إمام معصوم) هو وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهناك مساحة واسعة في سياسة الدولة الإسلامية

اسمها (التدبير) يديرها العقل والخبرة والدراية في كافة مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع والإدارة إلى آخر ما يستجد من مجالات الحياة المختلفة مساحة تبقى مضبوطة بالقوانين الأخلاقية والشرعية السلوكية وضرورات الحفاظ على مصالح الأمة لا ينبغي التعامل معها بمنطق الحلال والحرام لا لأن الشريعة قاصرة كما يتوهم أصحاب العقول القاصرة سواء من دعاة الإسلام الجهلة أو خصومه الخبثاء بل لأن الشريعة ضابطة وموجهة وحاكمة منذ البدء؛ الشريعة بمعناه الأخلاقي والسياسي الواسع لا بمعناه الطالباني الخوارجي الذي تتبناه الجماعات الإسلامية المعاصرة.

و نحاج هنا إلى الرد على من يروجون للمقولة المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أنتم أعلم بشئون دنياكم) وهي مقولة يراد بها حجب الدين عن التدخل في شئون الحياة وخاصة من حيث ملابسات ورودها في حادث مشورة فاسدة منسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في واقعة تأبير النخل وهي من أكاذيب بني أمية للطعن على شخص رسول الله تبناه البخاري وغيره من أصحاب القلوب الأموية ويكفي دليلا على كذب تلك الرواية أنها وردت بسبب نهي رسول الله ص عن تأبير النخل وهو أمر يعلم ضرورته الكبير والصغير فكيف وقع الرسول الأكرم في هذا المأزق

السخيف؟؟ هل وقع فيه لكي يعطي مادة لبني أمية وسلالتهم من بعدهم للطعن عليه وتقليص مساحة التوجيه الديني لأوجه الحياة المختلفة؟؟.

و لنأخذ قرار قبول التحكيم من عدمه في معركة صفين للتدليل على ما نقول فاستمرار الحرب له ما يبرره من الناحية القانونية والشرعية والأخلاقية وكل هذا ورد الحديث عنه سابقا وإيقاف الحرب أيضا له ما يبرره كذلك حقنا لدماء المسلمين وصونا لما تبقى من وحدتهم والفيصل في الاختيار بين الأمرين في النهاية هو الظروف والملابسات التي أوجبت هذا القتال منذ البدء وهل تغيرت هذه الظروف وهل مجرد رفع المصاحف طلبا للتحكيم كان تعبيرا عن رغبة صادقة لدى الطرف الآخر في التحاكم لكتاب الله وهل قبول التحكيم يعني إنهاء النزاع أم أنه يعني تحويلا لمجرى الصراع من اتجاه لآخر كل هذه عوامل يتحتم على القيادة المسلمة أن تتدارسها وتقرر بشأنها في إطار الحفاظ على مصلحة الأمة وكيانها ومستقبلها كلها أطر يتداخل فيها الأخلاقي الديني مع السياسي الوقتي نسميها كما سماها الإمام علي عليه السلام التدبير وإذا كان الإسلام العظيم والمسلمين الرساليين من خلال إسلامهم وتجردهم غير قادرين على أداء تلك المهمة التي لا تحتاج إلى إسلام ولا دين فهل تحتاج إلى كأس إضافي من الخمر لاتخاذ القرار الصحيح وهل

تستطيع النظريات المادية أن تقدم ما عجز الإسلام عن تقديمه ولكن لا بد لنا أن نقرر أن الحركيين المسلمين ومن ناحية أخرى بإصرارهم على اتباع المنهج الغوغائي في قراءة الدين والاقتصار على القشور وادعاءهم امتلاك المطلق بمجرد السبق إلى رفع الشعار قد أضروا بأنفسهم وبأمتهم مثلما فعل أسلافهم من الخوارج وخسروا أفضل عقول هذه الأمة مكتفين بمجموعة من الأتباع أصحاب الحناجر الذين لا يصلحون لأكثر من إدارة مؤسسة للدعاية والإعلان والعلاقات العامة.

واصل المعلم محاوراته مع تلاميذه وقد كان سلام اللخ عليه حريصا على هدايتهم وتعليمهم وإرشادهم هم ومن سيأتي من بعدهم ولعل هذه الكلمات تصيب مسامع من يحتاجون إليها ويقدرون على الاستفادة منها ولو بعد أربعة عشر قرن من الزمان.

تساءل هؤلاء الحيارى والتائهون عن سبب رفض الإمام علي عليه السلام للحكومة أولا ثم قبوله ثانيا قائلين (نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أي الأمرين أرشد) عجيب أمر هؤلاء البشر !! وهل استجبتم لنصح الإمام حينما رفض أولا؟؟ فصفق الإمام إحدى يديه على الأخرى ثم قال (هذا جزاء من ترك العقدة أما والله لو أني حين أمرتكم بما

أرتكم به حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا فإن استقمتم هديتكم وإن اعوججتم قومتكم وإن أبيتم تداركتكم لكانت الوثقى ولكن بمن وإلى من أريد أن أداوي بكم وأنتم داثي كناقش الشوكة بالشوكة وهو يعلم أن ضلعها معها اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي وكلت النزعة بأشطان الركي أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرؤا القرآن فأحكموه وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى أولادها وسلبوا السيوف أغمادها وأخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا وصفا صفا بعض هلك وبعض نجا لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء صفر الألوان من السهر على وجوههم غبرة الخاشعين أولئك غخواني الذاهبون فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم إن الشيطان يسني لكم طرقه ويريد أن يحل دينكم عقددة عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقة وبالفرقة الفتنة فاصدفوا عن نزغاته ونفثاته واقبلوا النصيحة ممن أهداها إليكم واعقلوها على أنفسكم) شرح النهج ج٢ ص ٢٦١.

فعلى من تقع المسئولية؟؟ هل تقع على الذين سارعوا وتسرعوا بقبول أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان وبينهم إمام الحق صاحب الرؤية الثاقبة ثم ألحوا بكل الوسائل في فرض

رأيهم بينما كان جيش الحق وكتيبته المتقدمة توشك على اقتحام مقر القيادة الأموي ليسوا سواء الحمقى والحكماء الحمقى الذين يسارعون ويبادرون إلى قبول كل ما يعرض عليهم اعتمادا على رؤيتهم السطحية لظواهر الأمور والحكماء الذين يتريثون ويتريثون وينتظرون ويقلبون وجه الأمور.

ثم هو عليه السلام يؤكد ما ذكرناه سابقا من أنه لم يكن عاجزا عن الالتفاف والمداورة وفرض رأيه (حملتكم على المكروه الذي يجعل الله فيه خيرا) ولكن بمن وإلى من؟؟ فهو كان عالما بحالهم وبأمراضهم النفسية المستعصية (أريد أن أداوي بكم وأنتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة) اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوي بفتح الدال الأولى وكسر الثانية وتشديدها وكلت النزعة بأشطان الركي (كاد حبل البئر أن ينقطع) فالخلل النفسي والاجتماعي والفكري الذي ضرب الأمة في هذا الوقت كان خللا جسيما لم يكن من السهل إصلاحه ولا كان متوفرا العدد الكافي ممن يقدرون على حمل عبء الإصلاح من الرجال الذين وصفهم بأنهم دعوا إلى الإسلام فقبلوه وقرأوا القرآن فأحكموه.

إنها تجربة الإمام ولا زلنا في حاجة للاستفادة منها وعلى من يحاولون التصدي للإصلاح أن يوطنوا أنفسهم على مواجهة نماذج مشابهة لتلك النماذج المعوجة.

يمضي الحوار ومحاولات الإصلاح مع أولئك المعوجين والمنحرفين فها هو عليه السلام يذهب إليهم في عقر دارهم بعد أن غادروا معسكر الإمام محاولا اثناءهم عن التمرد وإعادتهم إلى الصف المسلم الحقيقي خلف إمام الحق بعدما تحول موقفهم من القبول المطلق إلى الرفض المطلق (ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيلة ومكرا وخديعة: إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه فالرأي القبول منهم والتنفيس عنهم فقلت لكم هذا أمر ظاهره إيمان وباطنه عدوان وأوله رحمة وآخره ندامة فأقيموا على شأنكم والزموا طريقتكم وعضوا على الجهاد بنواجذكم ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق إن أجيب أضل وإن ترك ذل وقد كانت هذه الفعلة وقد رأيتكم أعطيتموها والله لئن أبيتها ما وجبت علي فريضتها ولا حملني الله ذنبها.

و والله إن جئتها إني للمحق الذي يتبع وإن الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء والإخوان والقرابات

فما مزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيمانا ومضيا على الحق وتسليما للأمر وصبرا على مضض الجراح ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل فإذا طمعنا في خصلة يلم الله بها شعثنا ونتدانى بها إلى البقية فيما بيننا رغبنا فيها وأمسكنا عما سواها) شرح النهج ج ٢ ص ٢٦٣.

إن رفض الإمام علي عليه السلام للتحكيم ثم قبوله مضطرا كان يعني حتمية بلوغ العملية التحكيمية إلى نهايتها الإجرائية المتفق عليها ولم يكن يعبر بحال من الأحوال عن نوع من التناقض وكلها مواقف متسقة لصدورها من الإمام المعصوم علي بن أبي طالب عليه السلام فالقتال وسفك الدماء كان ضرورة أملتها ضرورات أكثر مرارة منها ومن هنا فرفض التحكيم كان رفضا لمناورة سياسية مفضوحة لا رفضا لقن تلك الدماء ولو كان أصحابها من أهل الزيغ والاعوجاج والشبهة والتأويل.

لقد كان الأمر مريرا يوم أن كان القتال يجري بين أهل العشيرة الواحدة حتى ولو كان القتال بين الكفر والإسلام فما بالك إذا كان القتال هذه المرة حول محور الشبهة والتأويل ولكنه في النهاية يبقى اقتتالا داخليا وإضافة إلى سجل قد امتلأ بالجراح

فإذا كان لا بد من قبول هذا التحكيم بالرغم من أنه أسوأ الاختيارات فإنه طمع في خصلة يلم الله بها شعث أمة تفرقت وتبعثرت على يد معاوية وعمرو بن العاص.

إنها الرغبة الملحة في الحفاظ على ما تبقى من وحدة المسلمين مهما جرى بينهم من قتال.

ثم نصل إلى نقطة بالغة الأهمية تلك المتعلقة بالحكم والحاكمية فقد أثار الخوارج تلك القضية ولا زالوا يثيرونها وإن بصورة مختلفة.

ألا وهي تحكيم الرجال في دين الله ورده عليه السلام (إنا لم نحكم الرجال وإنما حكمنا القرآن هذا القرآن إنما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال) شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٠٣. و نحن قد تحدثنا سابقا عن هؤلاء الرجال وجهد الإمام المضني لاختيار من يملك أهلية التعبير الصحيح عن الحكم الإلهي إنها قضية مواصفات الحاكم وضرورة تحليه بالمواصفات الملائمة للقيام بهذا الدور.

أما الخوارج المعاصرون فقد عبروا عن تلك السذاجة والسطحية الفكرية حينما اعتبروا أن الحكم بما أنزل الله أمر سهل وميسور لأنه لا اجتهاد مع النص ولأن الشريعة الإسلامية

واضحة ومدونة في كتب الفقه على ما بين هذه الكتب من تقاطعات وما شابها من أكاذيب وترهات أسهم فيها تلك الحالة التي تحدثنا عن جانب منها فيما سبق والتي تركت بصماتها على كل أبواب الفقه وخاصة الفقه السياسي للأمة الإسلامية والذي نزعم أن كثيرا منه ليس من الله ولا من الإسلام في شيء فعن أي يسر وسهولة يتحدثون ومع كل هذا هم لا يكفون عن الصراخ كأسلافهم مطالبين بتطبيق الشريعة الإسلامية والحكم لله وسب ولعن من لم يحكم بما أنزل الله ثم لا يفوتهم قبل انتهاء خطبتهم الثناء بخير على عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري وكأنهم يقولون للناس هؤلاء هم قدوتنا في تطبيق الشريعة الإسلامية فأبشروا أيها المسلمون بشر ما يسوؤكم!!

إننا من دون شك ممن يرغبون في رؤية أحكام الشريعة الإسلامية مطبقة في كل مناحي الحياة ولكننا لا نطمئن لكل من ادعى الغيرة والحمية والرغبة في تطبيق الشريعة الإسلامية ورفع شعار الحكم لله أو علق المصاحف على أسنة الرماح فقد أفرزت حادثة التحكيم نماذج شتى أغلبها نماذج شائهة ليست من الله ولا من رسوله ولا من الشريعة الإسلامية في شيء وكما قلنا في مقدمة هذا الكتاب أننا نرجع إلى تاريخنا الذي هو حصيلة تجاربنا بحلوها ومرها وما أقل حلوها حتى لا نخدع من نفس الجحر ألف مرة.

نظرة مستقبلية:

نحن الآن نعيش في فترة عصيبة ليس صحيحا أن المد اللاديني قد انحسر وكاد أن يتلاشى أنه موجود ومن دون شك يستفيد من أخطائنا القديمة والجديدة ومن قراءتنا السطحية للدين والأكثر سطحية لتاريخ المسلمين يستفيد من تلك التجارب العشوائية التي أفرزت ذلك الكم الهائل من المصائب من أفغانستان إلى الجزائر مرورا بالأقصر وربما يجد مادة جديدة للاستفادة من رافعي شعار الإسلام هو الحل إذا قدر لهم أن يجربوا فينا الحكم فهلا استفدنا من تلك المرحلة التي نعيشها نحن وهم على قارعة الطريق ونحن ما زلنا نمتلك حرية الدراسة والتفكير والبحث والتنقيب والتداول مع أصحاب الرأي والفكر من أحرار هذه الأمة وما أكثرهم؟؟.

هلا استفادوا من هذه الفرصة التي ما زالت بين أيديهم تلك الفرصة الرائعة فرصة الحرية بعيدا عن مسئولية وشهوة الحكم والسيطرة التي تملكتهم قديما وحديثا وما زالت تسيطر على مخيلتهم ووجدانهم فلا تعطيهم فرصة للمراجعة ولا إعادة

النظر بل هي حالة مستمرة ومتمادية من اللهاث وراء سراب يحسبه الظمآن ماءا حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

و إنا لله وإنا إليه راجعون.

المؤلفات الفكرية للدكتور أحمد راسم النفيس

١- الطريق إلى مذهب أهل البيت. طبع
٢- رحلتي مع الشيعة والتشيع في مصر. طبع
٣- على خطى الحسين. طبع
٤- المهدي المنتظر ومعركة تحرير القدس. طبع
٥- الشيعة والثورة (ما بعد استشهاد الإمام الحسين). طبع
٦- الجمل وفقه الطابور الخامس. مخطوط
٧- التحكيم – قراءة في الفقه التاريخي للأمة الإسلامية. طبع
٨- الجماعات الإسلامية – محاولة استمساخ الأمة الإسلامية.
٩- من أسس لثقافة العنف. تحت الطبع
١٠- المصريون والتشيع الممنوع (طبع)
١١- شرح دعاء السَحَر لأبي حمزة الثمالي مخطوط.
١٢-علي بن أبي طالب وأخلاقيات السياسة مخطوط.
١٣- المسلمون والآخر مخطوط.
١٤-رسالة من أب لابنه (رسالة تربوية) مخطوط
١٥-علي بن أبي طالب والعدالة الاجتماعية (مؤتمر الإمام علي بن أبي طالب طهران مارس ٢٠٠١).
١٦-الزهراء سيدة نساء العالمين.

١٧- الشيعة والثورة الجزء الثاني.
١٨- الشيعة في العراق. طبع في مصر.
١٩-مقالات في الفكر والدين والسياسة.
٢٠-القرضاوي (وكيل الله أم وكيل بني أمية؟؟!!) ردا على كتابه تاريخنا المفترى عليه.
٢١-حقيقة التشيع.
٢٢- فقه التغيير- دراسة مقارنة بين السيد محمد باقر الحكيم وسيد قطب. مقال منشور في مجلة المنهاج.
٢٣-الشهيد الصدر وديناميةالصراع الاجتماعي (مؤتمر الذكرى العشرين لاستشهاد السيد محمد باقر الصدر طهران يناير ٢٠٠١).
٢٤-هل حقا أن ابن خلدون هو أول من أسس علم الاجتماع والعمران؟؟.

بالإضافة إلى عشرات المقالات السياسية والفكرية المنشورة في جريدة القاهرة القاهرية ومجلة البداية وجريدة نهضة مصر وصوت الأمة فضلا عن المقالات العلمية المنشورة بمجلة العربي الكويتية وآخرها (ساعة الأعمار) نوفمبر ٢٠٠٣ (أبناؤنا قاماتهم وقوامهم) مايو ٢٠٠٣ السكر المر يناير ٢٠٠٤ (مشكلة تأخر البلوغ عند المراهقين).

المحتويات

التحكيم ٩
عودة إلي صفين: ١١
الحدث: ١٢
على أي شيء سيكون التحكيم؟؟. ١٦
نظرة على الظروف التي مهدت للتحكيم: ١٩
اللحظات الحاسمة: ٢٧
لماذا قبل الإمام التحكيم؟؟ ٣٠
الإمام يؤسس ويرسي معالم الحكومة الإسلامية ٣٣
من التحكيم إلى الحاكمية: ٣٥
موضوع التحكيم: ٣٩
الجوانب الإيجابية للتحكيم: ٤٠
بعض من سجايا أبي موسى الأشعري ٤٨
مفاوضات تمهيدية حول شروط التحكيم: ٥١

نص الوثيقة: ٥٤
الشريعة الإسلامية لا يطبقها إلا الأمناء عليها: ٥٥
ارهاصات الظهور الخوارجي: ٥٩
الانشقاق حول مفهوم الحاكمية: ٦٢
بدايات الظهور الخوارجي: ٦٥
بعض ملامح الحكومة الإسلامية: ٦٦
عودة إلى تسلسل الأحداث: ٧٠
بداية جلسات الحكومة المصغرة: ٧٨
محضر المفاوضات: ٨١
هل كان الإمام علي (ع) ظالما أو تائها في قتاله للفئة الباغية كما يوحي بذلك أصحاب القلوب المريضة؟؟ ٨٦
ما بعد المهزلة مرحلة جديدة من الفتن والاضطراب ٩٧
(سيدنا عمرو بن العاص) (رض) يبيع دينه بدنياه: ١٠١
متى سقطت الخلافة الإسلامية الحقيقية: ١٢٠
الدولة الأموية تطبق الشريعة الإسلامية؟؟ ١٢٤
بعض نماذج من الفجور الأموي ١٢٤
هل كان التحكيم خطأ أم خطيئة: ١٣٢
نظرة مستقبلية: ١٤٥
المؤلفات الفكرية للدكتور أحمد راسم النفيس ١٤٧